

﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾



حقوق الطبع مهداة لكل مسلم

ISBN: 978-625-6686-71-7

الطبعة الأولى

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٥ م

GURABA YAYINCILIK TİC. LTD. ŞTİ.

الدار الأثرية للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع

+90 536 065 04 04  alguraba.arabic@gmail.com

 www.alguraba.com



BASKI: Step Ajans: İnönü Cad. No: 78
Bağcılar / İstanbul Yayın Sertifika No: 45522

ليتك تدرك

عَلَيَّ خَلِيلَكَ

الغراباء
guraba

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[سورة النور]

﴿رَبَّنَا قَبَلْنَا مِنْكَ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

اللهم انفع بهذا الكتاب مؤلفه وقارئه وراعيه وناسره
وانفع له بوظيفته خالصاً
آمين

يُهدى ولا يُباع

ثواباً لوالدي ولجميع المسلمين والمسلمات
الأحياء منهم والأموات

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه، ويدفع نقمه،
ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ،
أرسله الله بالهدى ودين الحق وآتاه الكتاب وكلفه بأن يدعو
جميع البشرية، فكان الوحي متلواً ومعجزاً، وآتاه الحكمة
فبين بها الفرائض والعبادات، وكانت مكملة للدين، وهي
المصدر الثاني في التشريع الإسلامي، ومبينة للقرآن الكريم
وشارحة له، وقد بلغ النبي ﷺ سننه تارة بالقول، وتارة
بالفعل، وتارة بالإقرار على الفعل.

لقد أوردت في هذا الكتاب من الآيات والأحاديث
ومن أكمل الأقوال وأجمل الأفكار، ما تنطق بالحكم
والعبر، ودروساً ترشد إلى الطريق الصحيح، وقصصاً
من الماضي الإنساني، وأسباب ازدهار وانهيار تلك الأمم
السابقة.

أسأل الله أن أكون قد وفقت في تحضير هذا الكتاب
المتواضع، وأسأل الله أن ينتفع من يقرؤه، والحمد لله رب
العالمين.

علي خليل

٢٧ ذو القعدة ١٤٤٦ هـ

٢٥ / ٠٥ / ٢٠٢٥ م

١- « لا يزول فقر العبد وبلاءه إلا بالتوحيد »

قال تعالى: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنْبِكَ ﴾ [مُحَمَّد: ١٩].

قال ابن عباس رضي الله عنه: فبالتوحيد يقوى العبد ويستغني، ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، وبالاستغفار يغفر له ويدفع عنه عذابه، ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فلا يزول فقر العبد وفاقته إلا بالتوحيد، فإنه لا بد له منه، وإذا لم يحصل له لم يزل فقيراً محتاجاً معذباً في طلب ما لم يحصل له، والله تعالى: ﴿ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ [النساء: ٤٨]، وإذا حصل مع التوحيد الاستغفار: حصل له غناه وسعاده، وزال عنه ما يعذبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله ^(١).

(١) «مجموع الفتاوى»: ١/ ٧٨-٧٩، لشيخ الإسلام تقي الدين

أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية
الحراني، متوفى ٧٢٨ هـ.

وقال ابن القيم: التَّوْحِيدُ مَفْزَعُ أَعْدَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ: فَأَمَّا أَعْدَاؤُهُ فَيَنْجِيهِمْ مِنْ كَرْبِ الدُّنْيَا وَشِدَائِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وَأَمَّا أَوْلِيَاؤُهُ فَيَنْجِيهِمْ بِهِ مِنْ كِرْبَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَشِدَائِهَا. وَلِذَلِكَ فَرَعَ إِلَيْهِ يُونُسُ فَنَجَّاهُ اللَّهُ مِنْ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ. وَفَرَعَ إِلَيْهِ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ فَجَاوَاهُ بِمِمَّا عَذَّبَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فِي الدُّنْيَا وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ. وَلَمَّا فَرَعَ إِلَيْهِ فِرْعَوْنُ، عِنْدَ مُعَايِنَةِ الْهَلَاكِ وَإِدْرَاكِ الْغَرَقِ، لَمْ يَنْفَعْهُ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ عِنْدَ الْمَعَايِنَةِ لَا يَقْبَلُ. هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ. فَمَا دَفَعَتْ شِدَائِدَ الدُّنْيَا بِمِثْلِ التَّوْحِيدِ. وَلِذَلِكَ كَانَ دُعَاءُ الْكَرْبِ بِالتَّوْحِيدِ وَدَعْوَةُ ذِي النُّونِ الَّتِي مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ كَرْبَهُ بِالتَّوْحِيدِ. فَلَا يَلْقَى فِي الْكَرْبِ الْعِظَامَ إِلَّا الشَّرْكَ وَلَا يُنْجِي مِنْهَا إِلَّا التَّوْحِيدُ، فَهُوَ مَفْزَعُ الْخَلِيقَةِ وَمَلْجَأُهَا وَحَصْنُهَا وَغِيَاثُهَا. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ (٢).

(٢) «الفوائد»: ص ٦١، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١ هـ.

٢- النية الخالصة

أورد الإمام الذهبي في كتابه عن الإمام أبي الحسن الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ، حيث قال:

إنه لم يُظهر شيئاً من تصانيفه في حياته، وجمعها في موضع، فلمّا دَنَتْ وفاته، قال لمن يثق به: الكُتُب الَّتِي فِي الْمَكَانِ الْفُلَانِي كُلِّهَا تَصْنِيفِي، وَإِنَّمَا لَمْ أَظْهِرْهَا لِأَنِّي لَمْ أَجِدْ نِيَّةً خَالِصَةً، إِذَا عَايَنْتُ الْمَوْتَ وَوَقَعْتُ فِي النَّزْعِ، فَاجْعَلْ يَدُكَ فِي يَدِي، فَإِنْ قَبِضْتُ عَلَيْهَا وَعَصَرْتُهَا، فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَقْبَلْ مِنِّي شَيْءٌ مِنْهَا، فَاعْمِدْ إِلَى الْكُتُبِ وَأَلْقِهَا فِي نَهْرٍ دَجَلَةٍ، وَإِنْ بَسَطْتُ يَدِي وَلَمْ أَقْبِضْ عَلَى يَدِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّهَا قُبِلَتْ، وَأَنِّي قَدْ ظَفَرْتُ بِمَا كُنْتُ أَرْجُوهُ مِنَ اللَّهِ.

قال ذلك الشخص: فلمّا قارب الموت، وضعتُ في يده يدي، فبسطها ولم يقبض على يدي، فعلمت أنها علامة القبول، فأظهرتُ كُتُبَهُ بَعْدَهُ (٣).

(٣) «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام»: ص ٢٥٤، للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، متوفى ٧٤٨ هـ.

وقال سهل بن عبد الله التستري: مذهبنا مبني على ثلاثة أصول: الاقتداء بالنبى ﷺ في الأخلاق والأفعال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية في جميع الأعمال^(٤).

٣- من لم يَصُن نفسه لم ينفعه علمه

قال الربيع: سمعت الشافعي، يقول: قراءة الحديث خيرٌ من صلاة التطوع، وقال: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

وقال يونس: قلت للشافعي: صاحبنا الليث يقول: لو رأيتُ صاحبَ هوىٍّ يمشي على الماء ما قبلته. قال: قَصِّرْ، لو رأيتُه يمشي في الهواء لما قبلته.

وقال الربيع: سمعت الشافعي، قال لبعض أصحابه الحديث: أنتم الصيادلة، ونحن الأطباء.

وقال المزني: سمعت الشافعي، يقول: من تعلَّم القرآن عَظُمَت قيمته، ومن تكَلَّم في الفقه نَمَا قدره، ومن

(٤) «الاعتصام»: ٤٥٢/٣، للعلامة المحقق أبي إسحاق إبراهيم ابن موسى بن محمد اللّخمي الشاطبي الغرناطي، ت ٧٩٠هـ.

كتب الحديث قويت حُجَّتُهُ، ومن نظر في اللغة رَقَّ طبعُهُ،
ومن نظر في الحساب جزل رأيُهُ، ومن لم يَصُنْ نفسه، لم
ينفعه علمُهُ.

وقال المزي: سمعت الشافعي، يقول: سئل الإمام
مالك عن الكلام والتوحيد، فقال: مُحَالٌ أَنْ نَظْنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ
أَنَّهُ عَلَّمَ أُمَّتَهُ الْإِسْتِنْجَاءَ، وَلَمْ يَعْلَمَهُمُ التَّوْحِيدَ (٥).

٤- قمع الشيطان

قال ابن القيم: ذكر الله تعالى يقمعُ الشيطانَ ويؤلمُهُ
ويؤذيه، كالسَّيَاطِ والمقامع التي تؤذي من يُضْرَبُ بها.
ولهذا يكونُ شيطانُ المؤمن هزِيلاً ضئيلاً مضئاً مما يعذبه
المؤمن ويقمعه به من ذكر الله وطاعته.

وفي أثرٍ عن بعض السلف: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُنْضِي شَيْطَانَهُ،
كَمَا يُنْضِي الرَّجُلُ بَعِيرَهُ فِي السَّفَرِ)، لَأَنَّهُ كَلِمَا اعْتَرَضَهُ

(٥) «سير أعلام النبلاء»: ١٠/٢٣-٢٦، الإمام شمس الدين
محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي التركماني، متوفى ٧٤٨ هـ.

صَبَّ عليه سياطُ الذِّكْرِ والتَّوَجُّهُ والاستغفار والطاعة، فشیطانُهُ معه في عذاب شديد، ليس بمنزلة شیطان الفاجر الذي هو معه في راحةٍ ودَعَة، ولهذا يكون قویًّا عاتياً شديداً.

فمن لم يعذب شیطانُهُ في هذه الدار بذكر الله تعالى وتوحيده واستغفاره وطاعته، عذبه شیطانُهُ في الآخرة بعذاب النار، فلا بُدَّ لكلِّ أحدٍ أن يُعَذَّبَ شیطانُهُ أو يُعَذِّبَهُ شیطانُهُ^(٦).

٥- من عاند السنة قصد الصحابة رضي الله عنهم

قال الربيع بن سليمان، قال الشافعي: من أبغض أحمد بن حنبل فهو كافر. فقلت: تطلق عليه اسم الكفر؟ فقال: نعم، من أبغض أحمد بن حنبل عاند السنة، ومن عاند السنة قصد الصحابة، ومن قصد الصحابة أبغض

(٦) «بدائع الفوائد»: ص ٧٩٣، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١ هـ.

النبي ﷺ، ومن أبغض النبي ﷺ كفر بالله العظيم (٧).

ويحكي عن أحمد بن حنبل رحمته الله أنه قال: كنت يوماً مع جماعة يتجردون ويدخلون الماء، فاستعملت خبر رسول ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يَدْخُلِ الْحَمَّامَ إِلَّا بِمِزْرٍ» (٨) ولم أتجرد، فرأيت تلك الليلة في المنام، قائلاً يقول لي: أبشر يا أحمد فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة، فقلت: من أنت؟ فقال: جبريل، وقد جعلك الله تعالى إماماً يقتدى بك.

وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام: المتبع للسنة كالقابض على الجمر، وهو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله (٩).

(٧) «طبقات الحنابلة»: ١/ ١٨، للإمام أبي الحسين محمد بن

محمد بن الحسين ابن أبي يعلى الحنبلي، متوفى ٥٢٦هـ.

(٨) «أخرجه الترمذي»: ٢٨٠١، و«أحمد»: ١٤٦٥١،

و«النسائي»: ٤٠١ مختصراً.

(٩) «سير أعلام النبلاء»: ١/ ٧٧٥، للإمام شمس الدين محمد

ابن أحمد بن عثمان الذهبي التركماني، متوفى ٧٤٨هـ.

٦- العالم من اتبع العلم والسنن

قال البربهاري: اعلم أنه لا يزال الناس في عصابة من أهل الحق والسنة، يهديهم الله، ويهدي بهم غيرهم، ويُحيي بهم السنن، فهم الذين وصفهم الله تعالى مع قلتهم عند الاختلاف، فقال: «وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ» فاستثناهم، فقال: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «لا [تزال عصابة] من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله [وهم ظاهرين]».

واعلم - رحمك الله - أن العلم ليس بكثرة الرواية [والكتب]، إنما العالم من اتبع العلم والسنن، وإن كان قليل العلم [والكتب] ومن خالف الكتاب والسنة، فهو صاحب بدعة، وإن كان كثير العلم [والكتب].

واعلم - رحمك الله - أن من قال في دين الله برأيه وقياسه، وتأويله من غير حُجَّةٍ من السنة والجماعة، فقد

قال على الله ما لا يعلم، ومن قال على الله ما لا يعلم، فهو من المتكلفين.

والحق ما جاء من عند الله [عز وجل]، والسنة: سنة رسول الله ﷺ، والجماعة: ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر وعمر [وعثمان].

ومن اقتصر على سنة رسول الله ﷺ، وما كان عليه [أصحابه و] الجماعة، فلج على أهل البدع [كلهم]، واستراح بدنه، وسلم له دينه إن شاء الله؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «ستفترق أمتي» ويين لنا رسول الله ﷺ الناجي منها فقال: «ما كنت أنا عليه اليوم وأصحابي» فهذا هو الشفاء والبيان، والأمر الواضح، والمنار المستنير^(١٠).

٧- تلبيس إبليس

قال ابن الجوزي: اعلم أن الآدمي لما خُلِقَ ركب فيه الهوى والشهوة، ليجتلب بذلك ما ينفعه، ووضع فيه

(١٠) «شرح السنة»: ص ١٠٤-١٠٥، للإمام أبي محمد الحسن ابن علي بن خلف البرهاري، المتوفى ٣٢٩ هـ.

الغضب ليدفع به ما يؤذيه. وأعطى العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب. وخلق الشيطان محرصاً له على الإسراف في اجتلابه واجتنابه. فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم عليه السلام وقد بذل عمره ونفسه في فساد أحوال بني آدم.

وقد أمر الله تعالى بالحدز منه، فقال ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٦٨-١٦٩]. وقال: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ط﴾ [سورة البقرة: ٢٦٨]، وقال: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء: ٦٠].

وقال: وينبغي أن تعلم أن إبليس الذي شغله التلبس أول ما التبس عليه الأمر فأعرض عن النص الصريح على السجود فأخذ يفاضل بين الأصول، فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [سورة ص: ٧٦]. ثم أردف ذلك

بالاعتراض على الملك الحكيم، فقال: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [سورة الإسراء: ٦٢]. والمعنى أخبرني لم كرمته على غرر ذلك الاعتراض، أن الذي فعلته ليس بحكمة ثم أتبع ذلك بالكبر، فقال: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [سورة ص: ٧٦]، ثم امتنع عن السجود فأهان نفسه التي أراد تعظيمها باللعنة والعقاب^(١١).

٨- شكر الوالدين

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

قال القرطبي: الشكر لله على نعمة الإيمان، وللوالدين على نعمة التربية. وقال سفيان بن عيينة: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى، ومن دعا لوالديه في أدبار

(١١) «تليس إبليس»: ص ٤٢-٤٣، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

الصلوات فقد شكرهما^(١٢). سئل الحسن البصري: ما برّ الوالدين؟ فقال: أن تبذل لهما ما ملكت، وأن تطيعهما فيما أمراك به إلا أن يكون معصية^(١٣).

٩- (إِذَا أُعْطِيَ لَمْ يَشْكُرْ، وَإِذَا ابْتُلِيَ لَمْ يَصْبِرْ)

عن عبد الرحمن بن شبل رضي الله تعالى عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْفُسَّاقَ هُمْ أَهْلُ النَّارِ». قيل: يا رسول الله، ومنَ الفُسَّاقُ؟ قال: «النِّسَاءُ». قال رجلٌ: يا رسول الله، أَوْلَسْنَ أُمَّهَاتِنَا، وَأَخَوَاتِنَا، وَأَزْوَاجَنَا؟ قال: «بلى، وَلَكِنَّهُنَّ إِذَا أُعْطِيَ لَمْ يَشْكُرْنَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ لَمْ يَصْبِرْنَ»^(١٤).

(١٢) «الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي»: ٤٤ / ٧، لأبي عبد

الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، المتوفى ٦٧١ هـ.

(١٣) «تفسير الحسن البصري»: ١ / ٤٨٨، حققه الشيخ أحمد فريد

المزدي.

(١٤) «أخرجه أحمد»: ١٥٥٣١، واللفظ له، و«عبد بن حميد»:

٣١٤، مطولاً، والطبراني في «المعجم الأوسط» بعد حديث

٢٥٧٤، باختلاف يسير.

وعن أبي التياح، قال: كان لمطرف بن عبد الله امرأتان، فجاء من عند إحداهما، فقالت الأخرى: جئت من عند فلانة؟ فقال: جئت من عند عمران بن حصين، فحدثنا أن رسول الله ﷺ، قال: «**إن أقل ساكني الجنة النساء**»^(١٥).

قال ميمون: دعاني عمر فقال: إني أوصيك بوصية فاحفظها: إياك أن تخلو بامرأة غير ذات محرم، وإن حدثتك نفسك أن تعلمها القرآن!^(١٦).

وقال الأحنف بن قيس: جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام؛ فإني أبغض الرجل أن يكون وصافاً لفرجه وبطنه، وإن من المروءة والديانة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيهِ^(١٧).

(١٥) «صحيح مسلم»: ٢٧٣٨.

(١٦) «سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد»: ص ٢٢٠، للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي القرشي البغدادي، متوفى ٥٩٧هـ.

(١٧) «المجالسة وجواهر العلم»: ٤٤ / ٣، تصنيف: أبي بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي، متوفى ٣٣٣هـ.

١٠- «أَنْفَقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا»

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي؛ إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ، وَلَمْ أَتَبَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ: إِنَّمَا بَعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا. فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ، وَقَالَ الْآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ، قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ وَأَنْفَقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا» ^(١٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وبهذا الإسناد قال الله [في الحديث القدسي]: «أَنْفَقْ أَنْفَقْ عَلَيْكَ» ^(١٩).

(١٨) متفق عليه، «صحيح البخاري»: ٣٤٧٢، و«مسلم»: ١٧٢١.

(١٩) «صحيح البخاري»: ٧٤٩٥.

١١ - «فَلْيَعْمِدْ إِلَى امْرَأَتِهِ فَلْيُوَاقِعْهَا»

عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، قَالَ: قَالَ جَابِرٌ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا أَحَدُكُمْ أَعْجَبَتْهُ الْمَرْأَةُ، فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ، فَلْيَعْمِدْ إِلَى امْرَأَتِهِ فَلْيُوَاقِعْهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ» (٢٠).

نفوس الرجال تميل للنساء، لذا جاءت الشريعة ووضعت حواجز وضوابط حتى لا يحصل الفساد بين الرجال والنساء، فأمرت الرجال بغض أبصارهم عن النساء، وأمرت النساء بالتستر وعدم إبداء الزينة، وألا يخرجن من بيوتهن إلا لحاجة مع التستر ومراعاة الآداب الشرعية، ومع ذلك فقد يقع للبعض شيء من النظر للنساء من غير تعمّد، فتتحرك الشهوة بسبب تلك النظرة ووسواس الشيطان له؛ فيستحب لمن رأى امرأة فتحرّكت شهوته أن يأتي امرأته، لأنه ربما غلبت على الرجل شهوة فيتضرر في بدنه أو قلبه فليواقع امرأته ليدفع شهوته، وتسكن نفسه.

عن جابر عن مجاهد قال: الشيطان أشد فرقا من أحدكم منه فإن تعرض لكم فلا تفرقوا منه فيركبكم، ولكن شدوا عليه فإنه يذهب والله أعلم^(٢١).

١٢- «فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ ﷺ»

عن أم المؤمنين عائشة ﷺ قالت: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ: «ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ - أَبَاكِ - وَأَخَاكِ؛ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّيَ مُتَمَنٍّ، وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ»^(٢٢).

وعن جبير بن مطعم ﷺ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ، فَأَمَرَهَا بِأَمْرٍ، فَقَالَتْ: أَرَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ لَمْ أَجِدْكَ؟ قَالَ: «إِنْ لَمْ تَجِدْنِي، فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ»^(٢٣).

(٢١) «آكامُ المرجان في أحكام الجان»: ص ٨٧، للإمام بدر الدين

أبي عبد الله محمد بن عبد الله الشبلي، متوفى ٧٦٩ هـ.

(٢٢) «صحيح مسلم»: ٢٣٨٧.

(٢٣) متفق عليه، «صحيح البخاري»: ٧٣٦٠، و«مسلم»: ٢٣٨٦،

باختلاف يسير.

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى ^(٢٤).

١٣- الاعتذار يذهب الهموم

قال أبو حاتم: الاعتذار يُذهب الهموم، ويُجلي الأحزان، ويدفع الحقد، ويُذهب الصد، والإقلال منه تُستغرق فيه الجنايات العظيمة والذنوب الكبيرة، والإكثار منه يؤدي إلى الاتِّهام وسوء الرأي، فلو لم يكن في اعتذار المرء إلى أخيه خصلة تُحمد إلا نفي العجب عن النفس في الحال، لكان الواجب على العاقل ألا يفارقه الاعتذار عند كل زلة.

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: (لا تكثر العتاب، فإن العتاب يورث الضغينة والبغضة، وكثرته من سوء الأدب) ^(٢٥).

(٢٤) «مجموع الفتاوى»: ١٥/ ١٩٤، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحاراني، متوفى ٧٢٨ هـ.

(٢٥) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء»: ١٦٨- ١٧٣، للحافظ أبي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي، متوفى ٣٥٤ هـ.

وقال ابن تيمية: إن الله أمر نبيه بالهجر الجميل، والصفح الجميل، والصبر الجميل، فالهجر الجميل هجر بلا أذى، والصفح الجميل صفح بلا عتاب، والصبر الجميل صبر بلا شكوى، قال يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. مع قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، فالشكوى إلى الله لا تنافي الصبر الجميل.

ويروى عن موسى عليه السلام أنه كان يقول: اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث، وعليك التكلان ^(٢٦).

١٤- حصن بالكتمان

قال أبو حاتم: من حصن بالكتمان سره تم له تدبيره، وكان له الظفر بما يريد، والسلامة من العيب والضرر، وإن

(٢٦) «مجموع الفتاوى»: ٣٢٩/٦، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، متوفى ٧٢٨هـ.

أخطأه التمكن والظفر، فالحازم يجعل سره في وعاء، ويكتمه عن كل مستودع، فإن اضطره الأمر وغلبه، أودعه العاقل الناصح له، لأن السر أمانة، وإفشاءه خيانة، والقلب له وعاءه، فمن الأوعية ما يضيق بما يودع، ومنها ما يتسع لما استودع^(٢٧).

وقال ابن الجوزي: رأيت أكثر الناس لا يتمالكون من إفشاء سرهم، فإذا ظهر عاتبوا من أخبروا به. فوا عجباً! كيف ضاقوا بحبسه ذرعاً ثم لأموا من أفشاه.

وقال: وستر المصائب من جملة كتمان السر، لأن إظهارها يسر الشامت ويؤلم المحب^(٢٨).

١٥- الذي يعمل النمام لا يعمل الساحر

عن يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: الذي يعمل النمام في ساعة لا يعمل الساحر في شهر.

(٢٧) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء»: ص ١٦٨-١٧٣، للحافظ

أبي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي، متوفى ٣٥٤هـ.

(٢٨) «صيد الخاطر»: ٢٠٠، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد

الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

عن حماد بن سلمة قال: باع رجل من رجل غلامًا له، وقال: أبرأ إليك من النميمة، فاشتراه على ذلك، فجاء إلى مولاته، فقال: إن زوجك ليس يُحبك، وهو يتسرى عليك ويتزوج، أفتريدين أن يعطف عليك؟ قالت: نعم، قال: خذي موسى فاحلقي به شعيرات من باطن لحيته وبخريه بها، وجاء إلى الرجل، فقال: إن امرأتك تبغي، وتصادق، وهي قاتلتك، أفتريد أن يبين لك ذلك؟ قال: نعم، قال: تناوم لها، قال: فتناوم لها، فجاءت بموسى تحلق الشعر، فأخذها فقتلها، فأخذه أولياؤها فقتلوه (٢٩).

وقال يحيى بن أكثم: النمام شر من الساحر ويعمل النمام في ساعة ما لا يعمله الساحر في شهر. ويقال: عمل النمام أضر من عمل الشيطان، لأن عمل الشيطان بالخيال والوسوسة وعمل النمام بالمواجهة والمعاناة، وقد قال الله تعالى: ﴿مَمْلَأَ الْحَطْبِ﴾ [المسد: ٤]، قال أكثر المفسرين: إن الحطب أراد به النميمة، وإنما سميت النميمة حطبًا

(٢٩) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء»: ١٦٨-١٧٣، للحافظ أبي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي، متوفى ٣٥٤ هـ.

لأنها سبب للعداوة والقتال، فصار بمنزلة إيقاد النار (٣٠).

١٦- حب الصحابة ﷺ

قال ابن النعمان: من أحب أبا بكر ﷺ فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله، ومن أحب علياً فقد أخذ بالعروة الوثقى، ومن أحسن الثناء على الصحابة فقد برئ من النفاق، ومن انتقص أحداً منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح، وأخاف أن لا يصعد له عمل إلى السماء (٣١).

وقال ابن تيمية: (وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ)، قال ابن عثيمين: (ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون آل بيت رسول الله ﷺ؛ يُحِبُّونَهُمْ

(٣٠) «تنبيه الغافلين»: ١٢٦، للإمام أبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي.

(٣١) «إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال»: ص ٣٢٧، العلامة علاء الدين مغلطاي ابن قليج بن عبد الله البكجري الحنفي، متوفى ٧٦٢هـ.

لأَمْرَيْنِ: للإيمان، وللقراءة من رَسولِ اللَّهِ ﷺ، ولا يَكْرَهُونَهُمْ أَبَدًا.

ولَكِنْ لا يقولونَ كما قال الرَّافِضَةُ: كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أبا بكرٍ وعُمَرَ فقد أَبْغَضَ عَلِيًّا! وعلى هذا، فلا يَمَكِنُ أَنْ نَحِبَّ عَلِيًّا حَتَّى نُبْغِضَ أبا بكرٍ وعُمَرَ! وكأَنَّ أبا بكرٍ وعُمَرَ أعداءُ لَعَلِّي بنِ أَبِي طَالِبٍ! مع أَنَّهُ قد تواتر النَّقْلُ عن عَلِيٍّ ﷺ أَنَّهُ كان يُثْنِي عليهما على المِنْبَرِ. فنحن نقول: إِنَّا نُشْهَدُ اللَّهَ على مُحَبَّةِ آلِ بَيْتِ الرَّسولِ ﷺ وقِرابَتِهِ؛ نَحِبُّهُمْ لِمُحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسولِهِ (٣٢).

١٧- تحتاج المرأة الحفظ والصيانة

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

(٣٢) «شرح العقيدة الواسطية»: ٢/٢٧٣، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، متوفى ٧٢٨ هـ، شرحه الشيخ محمد الصالح العثيمين ﷺ.

الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ^ط وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا^ط كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴿إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَامُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٣٥-٤٤].

قال ابن عباس: فهذه مريم احتاجت إلى من يكفلها ويحضرها حتى أسرعوا إلى كفالتها، فكيف غيرها من النساء، وهذا أمر معروف بالتجربة أن المرأة تحتاج من الحفظ والصيانة ما لا يحتاج إليه الصبي، وكل ما كان أستر لها وأصون كان أصلح لها. ولهذا كان لباسها المشروع لباساً يسترها، ولعن من يلبس لباس الرجال (٣٣).

(٣٣) «مجموع الفتاوى»: ٦٦/١٩، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، متوفى ٧٢٨هـ.

١٨- ﴿بَيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لهنَّ﴾

قال العلامة السعدي رحمته الله: في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، أي: اقررن فيها، لأنه أسلم وأحفظ لكنن.

قال الإمام الشوكاني رحمته الله: أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن محمد بن سيرين قال: نبئت أنه قيل لسودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: مالك لا تحجين ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك؟ فقالت: قد حججت واعتمرت وأمرني الله أن أقر في بيتي، فوالله لا أخرج من بيتي حتى أموت، قال: فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت جنازتها. وأخرج ابن أبي شيبة وابن سعد وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر عن مسروق قال: كانت عائشة رضي الله عنها إذا قرأت ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ بكت حتى تبل خمارها ^(٣٤).

(٣٤) «فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير»: ٢/ ٤١٤، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، متوفى ١٢٥٠هـ.

وقال ابن العربي: النساء لحم على وضم، كل أحد يشتهيهنَّ وهنَّ لا مدفع عندهنَّ؛ بل الاسترسال فيهنَّ أقرب من الاعتصام، فحصى الله عليهنَّ بالحجاب وقطع الكلام وحرَّم السلام وباعد الأشباح إلا مع من يستريحها وهو الزوج أو يمنع منها وهو أولو المحارم، ولما لم يكن بُد من تصرفهنَّ أذن لهنَّ فيه بشرط صحبة من يحميهنَّ؛ وذلك في مكان المخافة وهو السفر مقر الخلوة ومعدن الوحدة^(٣٥).

١٩- عروبة العلماء

زعم ابن خلدون في كتابه (المقدمة) أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم فقال: إن حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم، من الغريب الواقع أنَّ حَمَلَةَ الْعِلْمِ فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَكْثَرُهُمُ الْعَجَمُ لَا مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَا مِنَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ النَّادِرِ. وإن كان منهم العربي

(٣٥) «فيض القدير شرح الجامع الصغير»: ٣٩٨/٦، للعلامة

المحدث محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، متوفى

في نِسْبَتِهِ فهو أَعْجَمِيٌّ في لُغَتِهِ وَمَرْبَاهُ وَمَشِيخَتِهِ مع أَنَّ
 المَلَّةَ عَرَبِيَّةٌ وَصَاحِبُ شَرِيعَتِهَا عَرَبِيٌّ. والسَّبَبُ في ذلك
 أَنَّ المَلَّةَ في أَوَّلِهَا لم يكن فيها عِلْمٌ ولا صِنَاعَةٌ لِمُقْتَضَى
 أحوال السَّدَاجَةِ والبِدَاوَةِ وإنَّما أَحكام الشَّرِيعَةِ الَّتِي هِيَ
 أوامر الله ونواهيه، كان الرِّجال ينقلونها في صدورهم وقد
 عرفوا مأخذها من الكتاب والسُّنَّة بما تلقَّوه من صاحب
 الشَّرْع وأصحابه. والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا أمر التَّعليم
 والتَّأليف والتَّدوين ولا دفعوا إليه ولا دعتهم إليه حاجة.
 وجرى الأمر على ذلك زمن الصَّحابة والتَّابعين وكانوا
 يسمُّون المختصِّين بحمل ذلك. ونقله إلى القُرَّاء أي الذين
 يقرؤون الكتاب وليسوا أُمِّيِّين لأنَّ الأُمِّيَّة يومئذ صفة عامَّة
 في الصَّحابة بما كانوا عربًا فقليل لِحَمَلَةِ الْقُرْآن يومئذٍ قُرَّاءٌ
 إشارة إلى هذا. فَهُمْ قُرَّاءٌ لكتاب الله والسُّنَّةِ المَأْثُورَةِ عن
 الله لأنَّهم لم يعرفوا الأحكام الشَّرْعِيَّةَ إِلَّا منه ومن الحديث
 الَّذِي هو في غالب مواردِهِ تفسِير له وشرح (٣٦).

فرد عليه الدكتور ناجي معروف قائلاً: يظهر أن ابن خلدون قد أدلى بهذه الآراء لأنه لم يكن في متناول يده كثير من المراجع والمؤلفات التي تثبت خلاف نظريته كما يفهم ذلك مما جاء في آخر كلامه في الفصل الذي خصصه لحملة العلم، ومن الغريب العجيب أن العلامة ابن خلدون على فضله وعلمه واتساع معارفه لم يخطئ في هذا الرأي فحسب بل عدَّ العراق من بلاد العجم.

وقال: العلماء المنسوبون إلى المواطن الأعجمية يرجع كثير منهم إلى أصول وأنساب عربية أصيلة^(٣٧).

وقال: إن العربي في بيئة أعجمية قد يفقد جنسيته العربية ويتحول إلى أعجمي بسرعة، وبخاصة إذا كان جاهلاً، بينما الذي يعيش في بيئة عربية يحافظ على قوميته ولا يتحول بسهولة إلى عربي حتى لو كان جاهلاً، ويبدو أن السبب في ذلك هو أن العربي المسلم لا يتطرف في عنصريته بل لا يجد فرقاً بينه وبين أي مسلم آخر يدين بدينه، ولأن العرب لم

(٣٧) «عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية»: ص ٦٣،

ناجي معروف عبد الرزاق العبيدي الأعظمي.

يفرقوا بين الشعوب التي حكموها وإنما زودوها بكل ما لديهم من مثل سامية، ومبادئ شريفة، وخصال حميدة، وهذبوا نفوس الناس بتعاليم الإسلام^(٣٨).

وقال: لابد من التحري والتدقيق في أنساب العلماء المسلمين وبخاصة أولئك الذين ينتسبون إلى البلدان ولا سيما الأعجمية منها، وعاشوا على الأغلب فيها، وذلك لمعرفة عروبتهم أو عجمهم.

وقال: فلقد أدهشني أن أجد مثلاً أن الأئمة الستة الكبار أصحاب الصحاح الستة ينتمون بأسرهم إلى بلدان أعجمية، حتى ظننت كما ظن غيري أنهم جميعاً من الأعاجم، ولكن الذي سرى عني وخفف من دهشتي أن أجد بينهم ثلاثة من أصول عربية صريحة وواحدًا يرجح أنه عربي هو الإمام النسائي، واثنين منهم عرباً بالولاء هما: الإمام البخاري الجعفي، وابن ماجه القزويني الربعي، أما الأئمة الثلاثة العرب فهم:

(٣٨) «عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية»: ص ٣٦،

ناجي معروف عبد الرزاق العبيدي الأعظمي.

١- مسلم بن الحجاج النيسابوري، وهو عربي من قُشَيْر.

٢- أبو عيسى الترمذي، وهو عربي من سُلَيْم.

٣- أبو داود السجستاني، وهو عربي من الأزد.

ومما أدهشني حقًا أن أجد: أن الصحابي الجليل (صهيب الرومي) ينتمي إلى بني النمر بن قاسط من ربعة، القبيلة العربية الشهيرة. وأن جلال الدين الرومي صاحب المثنوي المشهور إنما هو عربي من سلالة أبي بكر الصديق.

ومما لا شك فيه أن الانتساب إلى المدن الأعجمية هو الذي طمس على كثير من عروبة العلماء. وصار الناس يتوهمون أو يظنون أن العلماء العرب المنسوين إلى المدن الأعجمية إنما هم من الأعاجم، فصاروا يُعَدُّون الفخر الرازي، والمرغيناني، والفيروزآبادي، مثلاً من العجم من بلاد الري، ومرغينان، وفيروزآباد، بينما هم عرب خلص من سلالة أبي بكر الصديق. وعدَّ الوطواط وهو ابن مردويه البلخي، وأبو الفتح المروزي النيسابوري،

وأبو بكر الهروي، والرضي الصاغاني من العجم، وإنما هم عرب خلص من ذرية عمر بن الخطاب^(٣٩).

٢٠- الملك المظفر سيف الدين قطز محمود بن ممدود

الملك المظفر سيف الدين قطز محمود بن ممدود بن خوارزم شاه، سلطان مملوكي، تولى الملك سنة ٦٥٧ هـ الموافق ١٢٥٩ م، (وتوفي ٦٥٨ هـ، الموافق ١٢٦٠ م). يُعدُّ قطز بطل معركة عين جالوت وقاهر التتار المغول، كما يعتبر أبرز ملوك مصر على الرغم من أن فترة حكمه لم تدم سوى أقل من عام واحد، حيث نجح في إعادة تعبئة وتجميع الجيش المصري، واستطاع إيقاف زحف التتار الذي كاد أن يقضي على الدولة الإسلامية، فهزمهم قطز بجيشه هزيمة كبيرة في عين جالوت، ولاحق فلولهم حتى حرر الشام بأكملها من سلطتهم.

(٣٩) «عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية»: ٦٨ / ١، ناجي معروف عبد الرزاق العبيدي الأعظمي.

قطز هو اسم أطلقه التتار عليه، حيث قاومهم بشراسة خلال اختطافهم وبيعهم له وهو صغير، ومعنى قطز باللغة المغولية (الكلب الشرس)، نسب قطز يعود إلى الأمير ممدود الخوارزمي ابن عم السلطان جلال الدين خوارزم شاه سلطان الدولة الخوارزمية وزوج أخته. نشأ قطز نشأة الأمراء وتدرّب على فنون القتال على يد خاله، وبعد سقوط الدولة الخوارزمية بيع مملوكًا في الشام، ثم انتقل لمصر وبيع مملوكًا للملك الصالح نجم الدين أيوب آخر ملوك الدولة الأيوبية، فتعلم فنون القتال والخطط الحربية في مدارس المماليك، وشارك جيش الملك الصالح في صد الحملة الصليبية السابعة، الذي حقق انتصارًا في معركة المنصورة عام ٦٤٨ هـ الموافق ١٢٥٠م. تدرّج قطز في ترتيب السلطة حتى كان يوم السبت ٢٤ ذو القعدة ٦٥٧ هـ، الموافق ١١ نوفمبر ١٢٥٩م، حيث نُصب ثالث سلاطين مماليك مصر، ولما عاد قطز منتصرًا من عين جالوت إلى مصر تأمر عليه بعض الأمراء المماليك بقيادة

بيبرس، فقتلوه بين القاربي والصالحية فدفن بالقصير، ثم نقل قبره بعد مدة من الزمن إلى القاهرة، وكان مقتله يوم السبت ١٦ ذو القعدة ٦٥٨ هـ، الموافق ٢٢ أكتوبر ١٢٦٠ م، وذلك بعد معركة عين جالوت بخمسين يومًا، ولم يدم حكمه سوى سنة واحدة^(٤٠).

٢١- إيران في ربيع الإسلام

قال د. بشار عواد معروف: إن شعب إيران المتكون من أعراق شتى، ومنهم العرب الذين استوطنوا هذه البلاد وعمروها وصاروا جزءًا أساسيًا من أهلها، قد تأصل هذا الدين الحق في نفوسهم، فكان علماؤها من حُرّاسه طوال تسعة قرون، إلى حلول الداهية العظمى باستيلاء الصفويين

(٤٠) «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»: ٧ / ٧٢-٨٩. لجمال الدين أبي يوسف بن تغري بردي الأتابكي، متوفى ٨٧٤ هـ. و«أخبار الدول وآثار الأول تاريخ القرمانى»: ٢ / ٦ للمؤرخ أحمد بن يوسف القرمانى، متوفى ١٠١٩ هـ، اعتنى به محمود أمين السيد.

على مقدرات البلاد في مطلع المئة العاشرة للهجرة، فكانوا كثيري الوقائع في أمة الإسلام، سخرُوا كل إمكاناتهم المادية والفكرية والعسكرية للقضاء على جذوة هذه الثقافة، وأغروا بهذا الأمر، وركبوا رؤوسهم في بهتان لم يشهد له التاريخ مثيلاً لتحقيق مآربهم الدنيئة في الهدم والتخريب، فتحققت بعض مقاصدهم من هذا التدمير الشنيع.

وقال: إن الفتوحات الإيرانية إنما خرجت من رَحِم فتوح العراق، فكان لا بد من إمامة بفتح العراق وأهمية معركة القادسية التي ضرب فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ملوك العجم بملوك العرب، فلم يدع رئيساً ولا ذا رأي وذا شرف وبسطة ولا خطيباً ولا شاعراً إلا رمى الساسانيين به، فرماهم بوجوه النَّاس وغرَّهم، وفيها قُتِل رُسْتَم قائد الجيش والجالينوس مُقدم الطلائع، وكان أعظم انتصار يُحرزه العرب المسلمون على الإمبراطورية السَّاسانية التي سامت الناس سوء العذاب على مدى أزمان طويلة، حيث دخلوا المدائن واستولوا عليها بعد هُروب كِسرى يزدرج

إلى حُلوان. ثم كانت معارك جلولاء ونهاوند الخالدة التي فتحت الطريق إلى تحرير إيران والقضاء على فلول الكبش الإمبراطوري الساساني، فتم فتح قُم، وقاشان، وأصبهان، وأذربيجان، والرِّي، وهمدان، وقُومس، وجُرجان، وطَبَرستان، فبدأ الإسلام ينتشر في هذه الرُّبوع بسرعة فائقة بعد أن شاهد سكان البلاد المفتوحة من عدل الإسلام وحملته ما جعلهم يتسارعون إليه زرافات ووحداناً^(٤١).

٢٢- أهمية اللغة العربية للإيرانيين

قال معروف: أدركَ الإيرانيون بعد إسلامهم أنَّ العربية من لوازم الدِّين، وأنَّ فقه الدين لا يمكن أن يتحقق على الوجه إلا بمعرفة العربية، فعنوا بتعلمها وإتقانها، وعَمِلُوا على أن يعتادَ أطفالُهم الخطابَ بالعربية مُنذ صِغَرهم بحيثُ صارت العربية هي اللُّغة الأمَّ لهم، ففشت لغةُ الدين الجديد حتى صارَ من الصَّعب تمييز العربي

(٤١) «إيران في ربيع الإسلام»: ٦-٧، بشار عواد معروف.

الصَّريح في نَسَبِهِ عن العربي المُتَّقل إلى قومية العرب
باللغة والدين ومُستلزماتها، فكانت اللُّغة العربية هي لغة
الإيرانيين الأدبية التي أَلَّفوا فيها كُتُبَهُم وعَبَّرُوا فيها عن
آدابهم نثرًا وشعرًا.

لقد بَيَّنَّا أَنَّ انتشار العربية في البلاد وشيوعها تمثَّلت
بكثرة القبائل العربية التي استوطنت بلاد إيران حتى أَنَّ
بعضُ المُدن لم تُعرف إِلَّا بِسُكَّانِها العرب، مثل قُم وبُشت.
وبأَنَّ العربية أصبحت اللُّغة الرَّسمية بين أهل العلم، بها
كانوا يَتَحَاوَرُونَ ويؤلِّفُونَ كُتُبَهُم وأبحاثهم ورسائلهم، وأنَّ
التأليف باللغة الفارسية الحديثة كان قليلًا جدًّا ومتأخرًا،
وأنَّ مجالس الإِماء باللغة العربية كانت تُعقدُ في المساجد
الجامعة وفي السَّاحات الكبيرة والدُّور الواسعة ويحضرها
أُلوْف الطُّلبة مع مَحَاِبرهم وأوراقهم يكتبون هذه الأُمالي،
فضلاً عن مجالس الوعظ والتذكير باللغة العربية، وأنَّ
جماهير السَّامعين كانوا يفهمون المواعظ العربية مما يدلُّ
على انتشارها الواسع بين جماهير الناس وعوامهم.

وقال: تبين أن أكثر العلماء المنسوبين إلى نيسابور خاصة وإلى خراسان عامة كانوا من أرومة عربية، كما لاحظنا أن خراسان طوال عهودها كانت حاملة راية أهل السنة والجماعة قلما نجد فيها، ومنها نيسابور، نشاطاً لغيرهم حتى العصر الصفوي^(٤٢).

٢٣- أهمية المدارس في إيران

قال معروف: إن ظهور المدارس العربية في إيران قد سبق جميع البلدان الإسلامية بما فيها العراق عمومًا وبغداد خصوصًا، ذلك أن إنشاء المدارس العربية في هذا البلد قد بدأ منذ منتصف المئة الرابعة، بينما أسست المدارس في العراق في أوائل النصف الثاني من المئة الخامسة. ولا حظنا أن هذه المدارس كانت من المدارس الأحادية: إما حنفية أو شافعية، وهما المذهبان الفقهيان السائدان في إيران حتى العصر الصفوي.

(٤٢) «إيران في ربيع الإسلام»: ص ١٠-١١، بشار عواد معروف.

كما يتعين الانتباه إلى أن التدريس في جميع المدارس التي وقفنا عليها كان باللغة العربية، ولم نقف على أي مدرسة كانت تدرس بغير هذه اللغة.

ثم بيّنا أن هذه المدارس لم تكن مدارس مسجدية، فقد دُفن فيها عدد من مؤسسيها مدرّسيها. وأن كثيرًا من هذه المدارس كانت تشتمل على خزائن للكتب العربية، وكان لها خزنتها ومشرفوها، مما يوفر للطالب الحصول على المعلومات بسهولة ويُسر.

وكان الذي يقوم بإنشاء المدرسة عادة أحد العلماء أو المياسير من الحكام والأمراء، ويوقف عليها الوقوف الدارة لديمومتها.

وقال: إنَّ إيران لم تكن تعرف التَّشيعَ، فضلًا عن أن تكون منبعًا له إلى مطلع القرن العاشر الهجري، ففي الوقت الذي ابتُلِيَ العراق بالسيطرة البويهية، وابتُلِيت البلاد المصرية والشامية بالإسماعيلية وخملت السُّنة في هذه

البلدان، كانت السُّنَّة ظاهرة متميزة مُنتعشة في إيران (٤٣).

٢٤- يَصْلِحُ اللهُ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

قال ابن تيمية: كان المؤمنون قد افرقوا فرقتين: فرقة مع عليٍّ، وفرقة مع معاوية، فقاتل هؤلاء عليًّا وأصحابه، فوقع الأمر كما أخبر به النبي ﷺ، وكما ثبت عنه أيضًا في الصحيح أنه قال عن الحسن ابنه: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَسَيُصْلِحُ اللهُ بِهِ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» (٤٤).

فأصلح الله به بين شيعة عليٍّ وشيعة معاوية، وأثنى النبي ﷺ على الحسن بهذا الصلح الذي كان على يديه وسماه سيِّداً بذلك، لأجل أن ما فعله الحسن يُحبُّه الله ورُسُولُهُ، ويرضاه الله ورُسُولُهُ، ولو كان الافتتال الذي حصل بين المسلمين

(٤٣) «إيران في ربيع الإسلام»: ١٨-٢٠، بشار عواد معروف.

(٤٤) عن أبي بكرة نفيح بن الحارث رضي الله عنه، قال: أَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْحَسَنَ، فَصَعِدَ بِهِ عَلَى الْمَنْبَرِ، فَقَالَ: «ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» (صحيح البخاري):

هُوَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، بَلْ يَكُونُ الْحَسَنُ قَدْ تَرَكَ الْوَاجِبَ، أَوْ الْأَحَبَّ إِلَى اللَّهِ، وَهَذَا النَّصُّ الصَّحِيحُ الصَّرِيحُ يَبَيِّنُ أَنَّ مَا فَعَلَهُ الْحَسَنُ مُحْمُودٌ، مَرْضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَضَعُهُ عَلَى فَخْذِهِ، وَيَضَعُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا، وَأَحَبُّ مِنْ يُحِبُّهُمَا». وَهَذَا أَيْضًا مِمَّا ظَهَرَ فِيهِ مَحَبَّتُهُ وَدَعْوَتُهُ ﷺ فَإِنَّهُمَا كَانَا أَشَدَّ النَّاسِ رَغْبَةً فِي الْأَمْرِ الَّذِي مَدَحَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِ الْحَسَنَ، وَأَشَدَّ النَّاسِ كَرَاهَةً لِمَا يُخَالِفُهُ.

وقال: وَأَمَّا قِتَالُ الصَّحَابَةِ فَلَمْ يُرَوْا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِ أَثَرٌ وَلَمْ يَظْهَرْ فِيهِ سُرُورٌ بَلْ ظَهَرَ مِنْهُ الْكَأَبُ وَتَمَنَّى أَنْ لَا يَقَعَ وَشَكَرَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ وَبَرَأَ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ وَأَجَازَ التَّرْحِمَ عَلَى قَتْلِ الطَّائِفَتَيْنِ وَأَمْثَالَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا اتِّفَاقُ عَلِيٍّ وَغَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ عَلَى أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ مُؤْمَنَةٌ. وَقَدْ شَهِدَ الْقُرْآنُ بِأَنَّ اقْتِتَالَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يُخْرِجُهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ

فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ *
 إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
 تُرْحَمُونَ ﴿سورة الحجرات: ٩-١٠﴾.

فَسَمَّاهُمْ مُؤْمِنِينَ وَجَعَلَهُمْ إِخْوَةً، مع وجودِ الإِقْتِتَالِ
 والبغْيِ. والحديثُ المذكورُ: (إذا قُتِلَ خَلِيفَتَانِ فَأَحَدُهُمَا
 مَلْعُونٌ) كَذِبٌ مُفْتَرَى لَمْ يَرَوْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ
 بِالْحَدِيثِ، وليس في دواوين الإسلامِ الْمُعْتَمَدَةِ (٤٥).

٢٥- النَّاسُ فِي قَتْلِ الْحُسَيْنِ عليه السلام طرفان ووسط

قال أبو عباس: صَارَ النَّاسُ فِي قَتْلِ الْحُسَيْنِ عليه السلام ثَلَاثَةَ
 أَصْنَافٍ، طَرَفَيْنِ وَوَسَطًا، أَحَدُ الطَّرَفَيْنِ يَقُولُ إِنَّهُ قُتِلَ بِحَقٍّ،
 فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ وَيُفَرِّقَ الْجَمَاعَةَ، وَقَدْ ثَبَتَ
 فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ جَاءَكُمْ وَأَمْرُكُمْ

(٤٥) «مجموع الفتاوى»: ٢٠٤/١، لشيخ الإسلام أبي العباس
 تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي
 الحنبلي.

عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَأَقْتُلُوهُ». قالوا:
وَالْحُسَيْنُ جَاءَ وَأَمْرُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَأَرَادَ أَنْ
يُفَرِّقَ جَمَاعَتَهُمْ، وقال بعض هؤلاء هو أول خارج خرج
في الإسلام على ولاية الأمر، والطرف الآخر قالوا: بل
كان هو الإمام الواجب طاعته، الذي لَا يُنْفَذُ أَمْرٌ مِنْ أُمُورِ
الْإِيمَانِ إِلَّا بِهِ، وَلَا تُصَلَّى جَمَاعَةٌ وَلَا جُمُعَةٌ إِلَّا خَلْفَ مَنْ
يُؤَلِّيهِ، وَلَا يُجَاهَدُ عَدُوٌّ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَأَمَّا الْوَسْطُ: فَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ، الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ لَا هَذَا،
وَلَا هَذَا، بَلْ يَقُولُونَ قُتِلَ مَظْلُومًا شَهِيدًا، وَلَمْ يَكُنْ مُتَوَلِّيًا
لِأَمْرِ الْأُمَّةِ. وَالْحَدِيثُ الْمَذْكُورُ لَا يَتَنَاقَضُ، فَإِنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ مَا
فُعِلَ بِابْنِ عَمِّهِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ، تَرَكَ طَلَبَ الْأَمْرِ وَطَلَبَ
أَنْ يَذْهَبَ إِلَى يَزِيدٍ، أَوْ إِلَى الثَّغْرِ، أَوْ إِلَى بَلَدِهِ، فَلَمْ يُمْكِّنُوهُ،
وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَسْتَأْذِنَ لَهُمْ، وَهَذَا لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا عَلَيْهِ ^(٤٦).

(٤٦) «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية»:

٢/ ٣٥٥، لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن

عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي.

٢٦- أحدث الناس بدعتين يوم عاشوراء: بدعة الحزن والنوح وبدعة السرور والفرح

قال أبو عباس: صار الشيطان بسبب قتل الحسين عليه السلام يُحدث للناس بدعتين، بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء من اللطم والصراخ والبكاء والعطش، وإنشاد المراثي، وما يُفْضِي إِلَيْهِ ذَلِكَ مِنْ سَبِّ السَّلَفِ وَلَعْنِهِمْ، وَإِدْخَالِ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ مَعَ ذَوِي الذُّنُوبِ، حَتَّى يُسَبِّ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ، وَتَقْرَأَ أَخْبَارُ مُصْرَعِهِ الَّتِي كَثِيرٌ مِنْهَا كَذِبٌ، وَكَانَ قَصْدُ مَنْ سَنَّ ذَلِكَ فَتَحَ بَابَ الْفِتْنَةِ وَالْفُرْقَةِ بَيْنَ الْأُمَّةِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ وَاجِبًا وَلَا مُسْتَحَبًّا بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ إِحْدَاثُ الْجُرْعِ وَالنِّيَاحَةِ لِلْمَصَائِبِ الْقَدِيمَةِ مِنْ أَعْظَمِ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. وَكَذَلِكَ بَدْعَةُ السُّرُورِ وَالْفَرَحِ، وَكَانَتْ الْكُوفَةُ بِهَا قَوْمٌ مِنَ الشَّيْعَةِ الْمُتَتَصِّرِينَ لِلْحُسَيْنِ عليه السلام، وَكَانَ رَأْسُهُمُ الْمُخْتَارَ ابْنُ عُبَيْدِ الْكَذَّابِ، وَقَوْمٌ مِنَ النَّاصِبَةِ الْمُبْغِضِينَ لِعَلِيِّ عليه السلام وَأَوْلَادِهِ، وَمِنْهُمْ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيُّ، وَقَدْ ثَبَتَ

فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «سَيَكُونُ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ»^(٤٧)، فَكَانَ ذَلِكَ الشَّيْعِيُّ هُوَ الْكَذَّابُ، وَهَذَا النَّاصِبِيُّ هُوَ الْمُبِيرُ، فَأَحْدَثَ أُولَئِكَ الْحُزْنَ، وَأَحْدَثَ هُوَ لَاءِ السُّرُورِ^(٤٨).

٢٧- بدعة وفتنة

قال الشاطبي في كتاب الاعتصام: حكى ابن العربي عن الزبير بن بكار، قال [سمعت سفيان بن عيينة يقول]: سمعت مالك بن أنس، أتاها رجل، فقال: يا أبا عبد الله! من أين أُحرم؟ قال: من ذي الحليفة، من حيث أحرم رسول الله ﷺ، فقال: فإني أريد أن أُحرم من المسجد. فقال: لا تفعل. قال: فإني أريد أن أُحرم من المسجد من عند القبر.

(٤٧) «أخرجه أحمد»: ٥٦٤٤، و«الطبراني»: ١٣/١٥٨، ١٣٨٤٤،

والبيهقي في «دلائل النبوة»: ٦/٤٨٢، باختلاف يسير، وفي

«سنن الترمذي»: ٣٩٤٤، الراوي عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٤٨) «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية»:

٣٥٦/٢، لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن

عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي.

قال: لا تفعل: فإني أخشى عليك الفتنة، فقال: وأي فتنة [في] هذا؟! إنما هي أميال أزيدها.

قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أَنَّكَ سبقتَ إلى فضيلة قَصَّرَ عنها رسول الله ﷺ؟! إني سمعت الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وهذه الفتنة التي ذكرها مالك رحمته الله في تفسير الآية هي شأن أهل البدع وقاعدتهم التي يؤسسون عليها بنيانهم، فإنهم يرون أن ما ذكره الله في كتابه وما سنّه نبيه صلّى الله عليه وسلّم دون ما اهتمدوا إليه بعقولهم ^(٤٩).

٢٨- أجراً القوم على الفتيا أدناهم علماً

قال الآجري: قال المعافى: سألت سفيان، فقال: أدركت الناس ممن أدركت من العلماء والفقهاء وهم

(٤٩) «الاعتصام»: ٢٢٨ / ١، العلامة المحقق أبو إسحاق إبراهيم ابن موسى بن محمد اللّخمي الشاطبي الغرناطي، متوفى ٧٩٠هـ.

يترادون المسائل يكرهون أن يجيبوا فيها، فإذا أعفوا عنها كان ذلك أحب إليهم.

وقال: عن حجاج بن عمير بن سعد، قال: سألت علقمة عن مسألة، فقال: ائت عبيدة فاسأله. فأتيت عبيدة، فقال: ائت علقمة. فقلت: علقمة أرسلني إليك. فقال: ائت مسروقاً فاسأله. فأتيت مسروقاً، فسألته، فقال، ائت علقمة، فاسأله. فقلت: علقمة أرسلني إلى عبيدة، وعبيدة أرسلني إليك. فقال: ائت عبد الرحمن بن أبي ليلى فأتيت عبد الرحمن بن أبي ليلى، فسألته، فكرهه، ثم رجعت إلى علقمة، فأخبرته، قال: كان يقال: أجر القوم على الفتيا أدناهم علماً^(٥٠).

قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا يُؤْخَذُ الْعِلْمُ عَنْ أَرْبَعَةٍ: سَفِيهِ مَعْلَنِ السَّفَةِ، وَصَاحِبِ هَوًى يَدْعُو إِلَيْهِ، وَرَجُلٍ مَعْرُوفٍ بِالكَذِبِ فِي أَحَادِيثِ النَّاسِ وَإِنْ كَانَ لَا يَكْذِبُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ، وَرَجُلٍ لَهُ فَضْلٌ وَصَلَاحٌ لَا يَعْرِفُ مَا يَحْدُثُ بِهِ^(٥١).

(٥٠) «أخلاق العلماء»: ٧٤-٧٥، لأبي بكر بن الحسين بن عبد الله الآجري، متوفى ٣٦٠ هـ.

(٥١) «جامع بيان العلم وفضله»: ١/ ٣٠٨، تأليف الإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي المالكي، متوفى ٤٦٣ هـ.

٢٩- أخُ يَركاك غنياً ويقطعك فقيراً

قال ابن أبي الدنيا: قال حبان بن علي، عن الحسن ابن كثير، قال: شكوتُ إلى محمد بن علي الحاجة وجفاء إخواني، فقال: بسّ الأخ، أخُ يَركاك غنياً ويقطعك فقيراً، ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمائة درهم، فقال: استنفق هذه فإذا نَفَدَتْ فأعلمني.

وعن الفضل بن دَلْهَم، قال: كان الحسن إذا فقد الرجل من إخوانه أتى منزله، فإن كان غائباً وصل أهله وعياله، وإن كان شاهداً سأله عن أمره وحاله، ثم دعا بعض ولده من الأصاغر فأعطاهم الدرهم ووهب لهم، وقال: أبا فلان، إن الصبيان يفرحون بهذا^(٥٢).

وقال أيوب ابن القُرَيْيَّة: أحق الناس بالإجلال ثلاثة: العلماء، والإخوان، والسلطان، فمن استخفَّ بالعلماء أفسد دينه، ومن استخفَّ بالإخوان أفسد مروءته، ومن

(٥٢) «مكارم الأخلاق»: ص ٢٠٤-٢٠٥، للحافظ الإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا، متوفى ٢٨١هـ.

استخف بالسلطان أفسد ديناه، والعاقل، لا يستخف بأحد. قال: والعاقل الدين شريعته، والحلم طبيعته، والرأي الحسن سَجِيَّتُهُ (٥٣).

٣٠- صاحب إربل (أربيل)

قال الإمام الذهبي: السُّلطان الدين الملك المُعَظَّم مُظَفَّرُ الدين أبو سعيد كُوْكَبَرِي بن علي بن بكتكين بن محمد التُّركماني صاحب إربل وابن صاحبها ومُصَرِّها الملك زين الدين علي كُوْجَك، وكوجك هو اللطيف القدّ، كان كوجك شهماً شجاعاً مهيباً، تملّك بلاداً كثيرة، ثم وهبها لأولاد صاحب المَوْصِل، وكان يوصف بقوة مفرطة، وطال عمره، وحج هو والأمرير أسد الدين شيركوه بن شاذي، وتوفي سنة ثلاث وستين وخمس مئة، وله أوقاف وبر ومدرسة بالموصل. فلما مات

(٥٣) «جامع بيان العلم وفضله»: ١ / ٥٨١، تأليف: الإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي المالكي، متوفى ٤٦٣ هـ.

تملك إربل ابنه هذا وهو مراهق، وصار أتابكه مجاهد الدين قيماز، فعمل عليه قيماز وكتب محضراً بأنه لا يصلح للملك وقبض عليه ومَلَّك أخاه زين الدين يوسف، فتوجه مظفر الدين إلى بغداد فما التفتوا عليه، فَقَدِمَ المَوْصِلَ على صاحبها سيف الدين غازي بن مودود، فأقطعه حَرَّانَ، فبقي بها مُدَيِّدَةً، ثم اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين، وغزا معه، وتمكَّن منه، وأحبه، وزاده الرُّها، وزوجه بأخته ربيعة واقفة الصاحبية. وأبان مظفر الدين عن شجاعة يوم حِطَّينَ، فوفد أخوه صاحب إربل على صلاح الدين نجدة فَتَمَرَّضَ ومات على عَكَا، فأعطى السُّلطان مظفر الدين إربل وشَهْرزور، واسترد منه حَران والرُّها.

وكان مُحِبًّا لِلصَّدَقَةِ، له كل يوم قناطير خبز يفرقها، ويكسو في العام خلقاً ويعطيهم ديناراً ودينارين، وبنى أربع خوانك للزَّمنَى والأضرَاء، وكان يَأْتِيهِمْ كل اثنين وخميس ويسأل كل واحد عن حاله ويتفقده ويباسطه ويمزح معه.

وبنى داراً للنساء، وداراً للأيتام، وداراً للقطّاء، ورتّب بها الأمراض. وكان يدور على مَرَضَى البيمارستان. وله دار مضيّف ينزلها كل وارد، ويُعطى كل ما ينبغي له. وبني مدرسة للشّافعية والحنفية وكان يمدّها السماط، ويحضر السماع كثيرًا، لم يكن له لذة في شيء غيره. وكان يَمْنَع من دخول مُنكر بلدّه، وبني للصوفية رباطين، وكان ينزل إليهم لأجل السّماعات. وكان في السنة يفتكُ أسرى بجملة ويُخرج سبيلاً للحج، ويبعث للمجاورين بخمسة آلاف دينار، وأجرى الماء إلى عرفات.

وقال: وكان مُتواضعًا، خيرًا، سنيًا، يحب الفقهاء والمحدثين، وربما أعطى الشُّعراء، وما نُقِلَ أنّه انهزم في حرب، وقد ذكر هذا وأمثاله ابنُ خَلِّكان واعتذر من التقصير. مولده في المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة بإربل.

وقال سبط الجوزي في (مرآة الزمان): كان مُظفر الدين ينفق في السنة على المولد ثلاث مائة ألف دينار، وعلى الخانقاه مائتي ألف دينار، وعلى دار المضيّف مائة ألف. وعد من هذا الخسف أشياء.

وقال ابن خَلِّكان: مات ليلة الجمعة رابع عشر رمضان سنة ثلاثين وست مئة، وعُمِّل في تابوت، وحُمِّل مع الحجاج إلى مكة، فاتفق أن الوفد رجعوا تلك السنة لعدم الماء، فدفن بالكوفة رحمه الله تعالى وعاش اثنتين وثمانين سنة.

وعاش أبوه فوق المئة، وعمي وأصمَّ، وكان من كبار الدولة الأتابكية، ما انهزم قط. ومدحه الحَيْص بَيْص، فقال: ما أعرف ما تقول، ولكني أدري أنك تريد شيئاً! وأمر له بِخَلعة وفَرَس وخمس مئة دينار^(٥٤).

٣١- مواطأة أعداء الشريعة

قال ابن عقيل: إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان، فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بلييك، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة^(٥٥).

(٥٤) «سير أعلام النبلاء»: ٢٢ / ٣٣٤-٣٣٧، للإمام شمس الدين

محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، متوفى ٧٤٨ هـ.

(٥٥) «الآداب الشرعية»: ص ٢٥٥، للإمام الفقيه المحدث عبد الله

وقال ابن الجوزي: واعلم أن القلب كالحصن، وعلى ذلك الحصن سور، وللسور أبواب، وفيه ثلم -خلل- وساكنه العقل، والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن، وإلى جانبه ربض فيه الهوى والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع، والحرب قائمة بين أهل الحصن وأهل الربض، والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم. فينبغي للحارس أن يعرف جميع الحصن الذي قد وُكِّل بحفظه وجميع الثلم، وأن لا يفتّر عن الحراسة لحظة، فإن العدو ما يفتّر^(٥٦).

٣٢- حاضر المنكر كفاعله

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

محمد بن مفلح المقدسي، متوفى ٧٦٣ هـ.
(٥٦) «تلييس إبليس»: ص ٤٨، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، متوفى ٥٩٧ هـ.

قال الحنبلي: المعنى يامحمد إن أنساك الشيطان أن تقوم عنهم وجالستهم بعد النهي فلا تقعد أي (إذا) ذكرت النهي فلا تقعد معهم، لغير حاجة مثل قوم يشربون الخمر لا تجلس عندهم. وقوم دعوه إلى وليمة عليها خمر أو مزمار لا تجب دعوتهم وأمثال ذلك فقد قيل: حاضر المنكر كفاعله.

كما يقال: هجران أعداء الحق فرض ومخالفة الأضداد ومفارقتهم دين، والركون إلى أصحاب الغفلة قرع باب الفرقة.

وروى عبد الله بن وهب عن مالك بن أنس رحمه الله أنه قال: تهجر الأرض التي يصنع فيها المنكر جهارًا ولا يستقر فيها ^(٥٧).

(٥٧) «الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»: ص ٤٢٤-٤٢٦، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الحنبلي الدمشقي الصالح، متوفى ٨٥٦ هـ.

٣٣- الأدب في الناس

عن أبي نصر السراج أنه قال: الأدب سند للفقراء وزين الأغنياء، والناس في الأدب متفاوتون وهم على ثلاث طبقات: أهل الدنيا، وأهل الدين، وأهل الخصوصية من أهل الدين، فأما أهل الدنيا فإن أكثر آدابهم في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم، وأسمار الملوك، وأشعار العرب، ومعرفة الصنایع.

وأما أهل الدين فإن أكثر آدابهم في رياضة النفوس، وتأديب الجوارح، وطهارة الأسرار، وحفظ الحدود، وترك الشهوات، واجتناب الشبهات، وتجريد الطاعات، والمصارعة إلى الخيرات.

وقال: فأما أدب أهل الخصوصية من أهل الدين فإن أكثر آدابهم في طهارة القلوب، ومراعاة الأسرار، والوفاء بالعقود بعد العهود، وحفظ الوقت، وقلة الالتفات إلى الخواطر والعوارض والبوادي والطوارق، واستواء السر

مع الإعلان، وحسن الأدب في مواقف الطلب ومقامات القرب وأوقات الحضور والقرب والدنو والوصلة (٥٨).

٣٤- ترغيب في النكاح

قال عمر رضي الله عنه: لا يمنع من النكاح إلا عجز أو فجور. فبين أن الدين غير مانع منه وحصر المانع في أمرين مذمومين. وقال ابن عباس رضي الله عنه: لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج. يحتمل أن جعله من النسك وتتمه له. ولكن الظاهر أنه أراد به أنه لا يسلم قلبه لعلبة الشهوة إلا بالتزويج ولا يتم النسك إلا بفراغ القلب. ولذلك كان يجمع غلمانه لما أدركوا عكرمة وكريباً وغيرهما ويقول: إن أردتُم النكاح أنكحتمكم فإن العبد إذا زنى نزع الإيمان من قلبه. وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزباً. ومات امرأتان

(٥٨) «اللُّمع في تاريخ التصوف الإسلامي»: ص ١٣٧ تأليف: أبي نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي، متوفى ٣٧٨ هـ.

لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في الطاعون، وكان هو أيضاً مطعوناً فقال: زوجوني فإني أكره أن ألقى الله عزباً.

وهذا يدل على أنهما رأيا في النكاح فضلاً، لا من حيث التحرز عن غائلة الشهوة.

وكان عمر رضي الله عنه يكثّر النكاح، ويقول: ما أتزوج إلا لأجل الولد. وكان بعض الصحابة قد انقطع إلى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يخدمه ويبيت عنده لحاجة إن طرقت، فقال لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «ألا تتزوج؟» فقال: يا رسول الله إني فقير لا شيء لي وأنقطع عن خدمتك، فسكت. ثم عاد ثانياً فأعاد الجواب.

ثم تفكر الصحابي وقال: والله لَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي وما يقربني إلى الله مني ولئن قال لي الثالثة لأفعلن. فقال له الثالثة: «ألا تتزوج؟» قال: فقلت: يا رسول الله زوجني، قال: «اذهب إلى بني فلان فقل: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تزوجوني فئاتكم».

قال: فقلت يا رسول الله لا شيء لي: فقال لأصحابه: «اجمعوا لأخيكم وزن نواة من ذهب» فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه، فقال له: «أولم» وجمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة^(٥٩).

وهذا التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل أنه توسم فيه الحاجة إلى النكاح. ويقال إن أحمد رحمه الله تزوج في اليوم الثاني لوفاة أم ولده عبد الله وقال: أكره أن أبيت عزبًا.

وقال سفيان بن عيينة: كثرة النساء ليست من الدنيا، لأن علياً عليه السلام كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية، فالنكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الأنبياء.

وقال رجل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله: طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة! فقال: لَرَوْعَةً منك بسبب العيال: أفضل من جميع ما أنا فيه، قال:

(٥٩) أخرجه من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي في حديث طويل. بإسناد حسن، وذكره العراقي، في تخريج الإحياء (٣٠ / ٢).

فما الذي يمنعك من النكاح، فقال ما لي حاجة في امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسي. وقد قيل: فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد. وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب (٦٠).

٣٥- من هو النذل؟

قال وكيع القاضي: أَخْبَرَنِي عمر بن أبي جعفر عن أبي المسكين، قَالَ: حَدَّثَنِي طلق بن عياش، قال: جاء رجل إلى حفص فَقَالَ لَهُ: أَصلحك الله إنه قد جرى بيني وبين امرأتي كلام، فقالت لي: يا نذل، فقلت لها: إن كنت نذلاً فأنت طالق ثلاثاً، وقد خفت أن تكون قد حرمت علي فأبي شيء النذل؟ قَالَ: أَتَشْتَمُ أصحاب مُحَمَّد عليه السلام؟ قَالَ: لا، قال: فلست بنذل. وَأَخْبَرَنِي

(٦٠) «إحياء علوم الدين»: ص ٢٨-٣٠، للإمام أبي حامد محمد ابن محمد الغزالي، متوفى ٥٠٥هـ.

طلق بَنُ غنام، قَالَ: جاءت امرأة من بني عجل لها هبة إلى حفص، فقالت له: أصلح الله القاضي إني امرأة من بني عجل ولي مال ولي ابن عم هو عصبي، وقد خطب إليّ نفسي؛ فلم أر أن أتزوجه إِلَّا بأمرك فزوجنيه؛ فَقَالَ لي: يا طلق بن عياش امض معها إلى بني عجل، فاسأل عن الرجل فإن لم يكن سكيرًا ولا رافضيًا فزوجه إياها؛ فمضيت معها إلى بني عجل، فسألت عنه فوجدته بريئًا من السكر والتلفض؛ فزوجته إياها ورجعت إلى حفص، فقلت له: لِمَ قلت: إن لم يكن سكيرًا ولا رافضيًا فزوجه؟ قال: يا طلق إن السكران يطلق ولا يعلم؛ والرافضي يطلق ولا يعبأ بالطلاق^(٦١).

٣٦- إِنَّمَا يَقْدَسُ الْإِنْسَانُ عَمَلُهُ

حَدَّثَ مَالِكٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ كَتَبَ إِلَى سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ: أَنْ هَلُمَّ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ.

(٦١) «أخبار القضاة»: ٣/ ١٨٨، وكيع القاضي، متوفى ٣٠٦ هـ.

فَكُتِبَ إِلَيْهِ سَلَمَانٌ: إِنَّ الْأَرْضَ لَا تُقَدَّسُ أَحَدًا، وَإِنَّمَا يُقَدَّسُ الْإِنْسَانُ عَمَلُهُ^(٦٢).

كتب إبراهيم بن أدهم إلى سفيان الثوري: من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، ومن أطلق بصره طال أسفه، ومن أطال أمله ساء عمله، ومن أطلق لسانه قتل نفسه.

وقال الكرخي: أعوذ بك من أمل يمنع العمل.

وقال وهيب بن الورد: ويل لمن كانت الدنيا أمله والخطايا عمله، عظيم بطشه قليل فطنته عالم بأمر دنياه جاهل بأمر آخرته^(٦٣).

٣٧- فوقع في نفسي أن هذا عقوبة

عن عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، قال: اعتلّ أبو زرعة الرّازي، فمضيتُ مع أبي لعيادته، فسأله أبي

(٦٢) «الموطأ»: الرقم ١٥٣٥، للإمام مالك بن أنس رحمته الله.

(٦٣) «الزهد الكبير»: ص ١٩٤-١٩٥، تأليف: الإمام الحافظ أبي

بكر أحمد بن الحسين البيهقي، متوفى ٤٥٨ هـ.

عن سبب هذه العلة، فقال: بْتُ وأنا في عافية، فوقَعَ في نفسي أني إذا أصبحتُ أخرجتُ من الحديث ما أخطأ فيه سفيان الثوري، فلما أصبحتُ خَرَجْتُ إلى الصلاة، وفي دَرَبنا كلب ما نَبَحني قَط، ولا رأيته عدا على أحد، فعدا عليَّ وعَقَرني، وحُمِمْتُ، فوقَعَ في نفسي أن هذا عُقوبةٌ لما وضعت في نفسي، فأضربت عن ذلك الرَّأي (٦٤).

وعن ابن المبارك أنه قال: ليكن الذي تعتمد عليه الأثر، وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث.

وقال وكيع: كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به، وكنا نستعين على طلبه بالصوم (٦٥).

-
- (٦٤) «تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها»: ١٤ / ٢٧٤، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، متوفى ٤٦٣ هـ.
- (٦٥) «جامع بيان العلم وفضله»: ١ / ١٠٣١، تأليف: الإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي المالكي، متوفى ٤٦٣ هـ.

٣٨- لا تَفْشِ على أحد

قال الإمام القشيري: سئل حمدون: متى يجوز للرجل أن يتكلم على الناس؟ فقال: إن تعين عليه أداء فرض من فرائض الله تعالى في علمه، أو خاف هلاك إنسان في بدعة، وهو يرجو أن ينجيه الله تعالى منها. وقال: من ظن أن نفسه خير من نفس فرعون، فقد أظهر الكبر. وقال: إذا رأيت سكراناً فتمايل، لئلا تبغي عليه، فُتبتلى بمثل ذلك.

وقال حمدون: مَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ السَّلَفِ عَرَفَ تَقْصِيرَهُ وَتَخَلُّفَهُ عَن دَرَكِ دَرَجَاتِ الرِّجَالِ. وقال: لا تفش على أحد ما تحب أن يكون مستوراً منك ^(٦٦).

وقال إبراهيم بن الأشعث: قيل للفضيل بن عياض: لو أقامك الله تعالى يوم القيامة بين يديه، فقال لك: ما غرك بربك الكريم؟ ماذا كنت تقول؟ قال: كنت أقول غرني سُتُورك المرحاة، لأن الكريم هو الستار. وقال ذو النُّون

(٦٦) «الرسالة القشيرية»: ص ١٠٩، للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، متوفى ٤٦٥ هـ.

المصريّ: كم من مغرور تحت السّتر وهو لا يشعر^(٦٧).

٣٩- بل علي عليه السلام زينّها

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كنت بين يدي أبي جالساً ذات يوم، فجاءت طائفة من الكرخين فذكروا خلافة أبي بكر وخلافة عمر بن الخطّاب وخلافة عثمان ابن عفان فأكثروا، وذكروا خلافة علي بن أبي طالب وزادوا فأطالوا، فرفع أبي رأسه إليهم، فقال: يا هؤلاء، قد أكثرتم القول في علي والخلافة والخلافة وعليّ، أتحسبون أنّ الخلافة لم تزين عليّاً؟ بل زينّها علي، قال السيّاري: فحدثت بهذا بعض الشيعة، فقال لي: قد أخرجت نصف ما كان في قلبي على أحمد بن حنبل من البُغض!^(٦٨)

(٦٧) «الجامع لأحكام القرآن»: ١٠ / ١٦١، لأبي عبد الله محمد

ابن أحمد الأنصاري القرطبي، متوفى ٦٧١ هـ.

(٦٨) «تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء

من غير أهلها ووارديها»: ١ / ٤٦٢، للإمام الحافظ أبي بكر

أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ٤٦٣ هـ..

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: أنصح الناس وأعلمهم بالله، أشد الناس حباً وتعظيماً لحرمة أهل لا إله إلا الله ^(٦٩).

٤- مَنْ شَغَلَهُ الْفَرَضُ عَنِ النَّفْلِ وَشَغَلَهُ النَّفْلُ عَنِ الْفَرَضِ

قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَقْرَبْ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ﴾ ^(٧٠)، وَأَوَّلُ الْفَرَائِضِ هُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

النَّوَافِلُ تُقَرَّبُ الْعَبْدَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتُكَمِّلُ الْفَرَائِضَ، فَإِذَا أَكْثَرَ الْإِنْسَانُ مِنَ النَّوَافِلِ مَعَ قِيَامِهِ بِالْفَرَائِضِ نَالَ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَحُبَّهُ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانٌ أَنَّ أَعْظَمَ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ

(٦٩) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»: ٧٣/١، للحافظ أبي

نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، متوفى ٤٣٠هـ.

(٧٠) حَدِيثٌ قُدْسِيٌّ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (٦٥٠٣).

(وَالْحَدِيثُ الْقُدْسِيُّ هُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي صَدَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ بِقَالَ

اللَّهُ أَوْ يَقُولُ اللَّهُ، أَمَّا الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ فَمَا صَدَرَهُ الصَّحَابِيُّ

بِقَالَ الرَّسُولِ ﷺ).

العبدِ إِلَى اللَّهِ هُوَ أَدَاءُ فَرَائِضِ اللَّهِ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْأَكْبَارِ (مَنْ شَغَلَهُ الْفَرَضُ عَنِ النَّفْلِ فَهُوَ مَعْدُورٌ، وَمَنْ شَغَلَهُ النَّفْلُ عَنِ الْفَرَضِ فَهُوَ مَغْرُورٌ) ^(٧١)، فَالْعَمَلُ بِالْفَرَضِ يُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ أَكْثَرَ مِنَ الْعَمَلِ بِالنَّوَافِلِ، فَعَلَيْكُمْ بِتَقْدِيمِ الْفَرَضِ عَلَى النَّفْلِ عَمَلًا بِالقَاعِدَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَأَفْضَلُ الْأَعْمَالِ عَلَى الْإِطْلَاقِ هُوَ الْإِيْمَانُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ.

٤١- إِذَا رَأَيْتُمُونِي وَعَلَى رَأْسِي مَضْحَفٌ فَاقْتُلُونِي

حين جاء التتار بجموعهم إلى الشام سنة ٧٠٢هـ، قُرب شَقْحَب أَرْجَفَ الْمَرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ وَخَافُوا الْهَزِيمَةَ، فَبَذَلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ جَهْدًا كَبِيرًا فِي تَحْرِيسِ النَّاسِ عَلَى الْجِهَادِ، فَحِينَ اسْتَعَدَّتِ الْجِيُوشُ مِنْ مِصْرَ وَالشَّامِ لِمُلَاقَاةِ جُمُوعِ التتار، أَخَذَ دُعَاةَ الْهَزِيمَةِ وَالتَّرَدُّدِ يَقُولُونَ: لَا طَاقَةَ لْجَيْشِ الشَّامِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْمِصْرِيِّينَ بِلِقَاءِ

(٧١) «فتح الباري بِشَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»: ٣٥١ / ١١، لِلْحَافِظِ ابْنِ حَبَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ، مِتُوفاً ٨٥٢هـ.

التتر لكثرتهم، وبدؤوا ينشرون الرعب والفرع في قلوب الناس، فأخذ الشيخ يحرص الناس ويحثهم على قتالهم بدلاً من الفرار، وساق لهم من الآيات والأحاديث الواردة في ذلك، ورغب في إنفاق الأموال في الذود عن المسلمين وبلادهم وأموالهم، وسافر بنفسه إلى مصر لحث السلطان على الدفاع عن الشام، وأقنعه بضرورة تجهيز الجيش لهذا الغرض، وجاء ضمن أقواله للسلطان: لو قدر أنكم لستم حكاماً للشام ولا ملوكه، واستنصركم أهله، وجب عليكم النصر، فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه، وهم رعاياكم وأنتم مسؤولون عنهم؟

وعندما حان أوان المعركة المرتقبة بأرض الشام، وصلت جحافل التتار إلى حمص وبعلبك، ولم يكن جيش مصر قد وصل للنجدة بعد، تخبط الناس ومسهم الفرع والذعر، وعادوا يتحدثون عن التقهقر، ولكن ابن تيمية عاد ينفث من قوة إيمانه في صدور الأمراء والجند، مؤكداً لهم النصر، فكان يثبت القلوب ويعدهم بالنصر والغلبة.

قال ابن كثير: كان يحلف للأمراء والناس: إنكم في هذه

الكرّة منصورون على التتار. فيقول له الأمراء: قل: إن شاء الله. فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً.

وكان يتأول في ذلك أشياء من كتاب الله، منها قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوِقَبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيُضْرَّتهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠].

وكان يقول للناس: إذا رأيتموني من ذلك الجانب -أي مع التتار- وعلى رأسي مُصْحَفٌ فاقْتُلُونِي، فَتَشَجَّ النَّاسُ فِي قِتَالِ التَّتَارِ، وَقَوِيَتْ قُلُوبُهُمْ وَنِيَّاتُهُمْ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ. وعندما سأله السلطان أن يقف معه في معركة للقتال، قال له الشيخ: السُّنة أن يقف الرجل تحت راية قومه، ونحن من جيش الشام لا نقف إلا معه (٧٢).

قال ابن تيمية: من عجز عن الجهاد ببدنه وقدر على الجهاد بماله وجب عليه الجهاد بماله.

وقال: فيجب على الموسرين النفقة في سبيل الله، وعلى

(٧٢) «البداية والنهاية»: ٢٧/١، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير الدمشقي، ٧٧٤هـ.

هذا يجب على النساء الجهاد في أموالهن، إن كان فيها فضل، وكذلك في أموال الصغار (٧٣).

٤٢- «رَأْسُ مِئَةِ سَنَةٍ»

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: صَلَّى بنا النبي ﷺ العِشاءَ في آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّ رَأْسَ مِئَةِ سَنَةٍ مِنْهَا، لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ» (٧٤).

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: إِنَّمَا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ هَذِهِ الْمُدَّةَ تَخْتَرِمُ الْجِيلَ الَّذِي هُمْ فِيهِ، فَوَعَظَهُمْ بِقِصْرِ أَعْمَارِهِمْ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ أَعْمَارَهُمْ لَيْسَتْ كَأَعْمَارِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأُمَمِ لِيَجْتَهِدُوا فِي الْعِبَادَةِ. وَقَالَ النَّوَوِيُّ: الْمُرَادُ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ

(٧٣) «مجموع الفتاوى»: ٥/٥٣٧، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، متوفى ٧٢٨ هـ.

(٧٤) متفق عليه، «أخرجه البخاري»: ١١٦، و«مسلم»: ٢٥٣٧.

تِلْكَ اللَّيْلَةُ عَلَى الْأَرْضِ لَا يَعِيشُ بَعْدَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ، سِوَا قَلِّ عُمُرِهِ قَبْلَ ذَلِكَ أَمْ لَا، وَلَيْسَ فِيهِ نَفْيُ حَيَاةِ أَحَدٍ يُوَلَدُ بَعْدَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِائَةَ سَنَةٍ (٧٥).

يُخْبِرُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَمْرٍ مِنَ الْغَيْبِ الَّذِي أطلعَهُ اللهُ عَلَيْهِ، حَيْثُ يَرْوِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى بِهِمْ يَوْمًا الْعِشَاءَ وَكَانَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، وَجَاءَ فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ ﷺ بِشَهْرٍ، فَلَمَّا انْتَهَى مِنْ صَلَاتِهِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَوَعَظَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَرُورِ مِئَةِ سَنَةٍ أَحَدٌ مِمَّنْ كَانَ حَيًّا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ عُمِّرَ إِلَى سِنٍّ كَبِيرٍ، وَلَكِنْ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ حَيًّا بَعْدَ مِئَةِ سَنَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي حَدَّثَهُمْ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَفِي ذَلِكَ وَعَظٌ لَهُمْ بِقِصَرِ أَعْمَارِهِمْ، وَلَا تَطَوُّلِ أَعْمَارِهِمْ كَأَعْمَارِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ؛ وَهَذَا مِنْ دَلِيلِ عِلَامَاتِ نُبُوَّتِهِ ﷺ.

(٧٥) «المسند»: ٥/ ١٤٢، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

متوفى ٢٤١هـ، شرح أحمد محمد شاكر.

٣- فمتى يتبين الحق

قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْلَةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عِمْرَان: ٢٨].

قال أصحاب أبي حنيفة: التقيّة رخصة من الله تعالى، وتركها أفضل، فلو أكره على الكفر فلم يفعل حتى قُتل فهو أفضل ممن أظهر، وكذلك كل أمر فيه إعزاز الدّين فالإقدام عليه حتّى يُقتل أفضل من الأخذ بالرّخصة. قال الإمام أحمد بن حنبل، وقد قيل له: إن عُرِضَتْ عَلَى السَّيْفِ تَجِيبُ (سُئِلَ أَيَّامَ مُحَنَّتِهِ فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ)؟ قال: لا، وقال: إذا أجاب العالمُ تقيّةً، والجاهلُ مجهلًا، فمتى يتبين الحقُّ؟ والذي نقل إلينا خلفًا عن سلف أن الصحابة، وتابعيهم، بذلوا أنفسهم في ذات الله، وأنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا سطوة جبار ظالم.

وقال الرازي: إِنَّمَا تَجُوزُ التَّقِيَّةُ فِيْمَا يَتَعَلَّقُ بِإِظْهَارِ الْحَقِّ
وَالدِّينِ، وَأَمَّا مَا يَرْجِعُ ضَرْورَةً إِلَى الْغَيْرِ: كَالْقَتْلِ، وَالزَّانَا،
وَعَضْبِ الْأَمْوَالِ، وَالشَّهَادَةِ بِالزُّورِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ،
وَاطَّلَاعِ الْكُفَّارِ عَلَى عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ فَغَيْرُ جَائِزٍ الْبَتَّةَ.
وظَاهِرُ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مَعَ الْكُفَّارِ الْغَالِبِينَ، إِلَّا أَنَّ
مَذْهَبَ الشَّافِعِيِّ: أَنَّ الْحَالَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِذَا شَاكَلَتْ الْحَالَ
بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ جَازَتْ التَّقِيَّةُ مُحَامَاةً عَنِ النَّفْسِ، وَهِيَ جَائِزَةٌ
لِصَوْنِ النَّفْسِ وَالْمَالِ (٧٦).

٤- الأسباب المانعة من قبول الحق

قال الإمام ابن القيم: الأسباب المانعة من قبول الحق
كثيرة جداً. فمنها: الجهل به، وهذا السبب هو الغالب
على أكثر النفوس، فإن من جهل شيئاً عاداه وعادى أهله.
فإن انضاف إلى هذا السبب بُغْضٌ مَنْ أَمَرَهُ بِالْحَقِّ

(٧٦) «البحر المحيط في التفسير»: ٣/ ٧٠، لمحمد بن يوسف الشهير

بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، ٧٥٤ هـ.

ومُعَادَاتُهُ لَهُ وَحَسَدُهُ، كَانَ الْمَانِعُ مِنَ الْقَبُولِ أَقْوَى. فَإِنْ
انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ إِلْفُهُ وَعَادَتُهُ وَمَرْبَاهُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ
أَبَاؤُهُ وَمَنْ يَحِبُّهُ وَيَعْظُمُهُ: قَوِي الْمَانِعُ.

فَإِنْ انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ تَوْهُمُهُ أَنَّ الْحَقَّ الَّذِي دُعِيَ إِلَيْهِ
يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَاهِهِ وَعِزِّهِ وَشَهْوَاتِهِ وَأَغْرَاضِهِ: قَوِي
الْمَانِعُ مِنَ الْقَبُولِ جَدًّا.

فَإِنْ انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ خَوْفُهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَعَشِيرَتِهِ
وَقَوْمِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَجَاهِهِ، كَمَا وَقَعَ لِهَرَقْلَ مَلِكِ
النَّصَارَى بِالشَّامِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَزْدَادَ الْمَانِعِ
مِنْ قَبُولِ الْحَقِّ قُوَّةً، فَإِنَّ هِرَقْلَ عَرَفَ الْحَقَّ وَهَمَّ بِالْدُخُولِ
فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُطَاوِعْهُ قَوْمُهُ، وَخَافَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ فَاخْتَارَ
الْكُفْرَ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى.

وَقَالَ: وَمِنْ أَعْظَمِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ: الْحَسَدُ؛ فَإِنَّهُ دَاءٌ
كَامِنٌ فِي النَّفْسِ، وَيَرَى الْحَاسِدُ الْمَحْسُودَ قَدْ فَضَّلَ عَلَيْهِ،
وَأُوتِيَ مَا لَمْ يُؤْتَ نَظِيرُهُ، فَلَا يَدَعُهُ الْحَسَدُ أَنْ يَنْقَادَ لَهُ،
وَيَكُونَ مِنْ أَتْبَاعِهِ.

وهل مَنَعَ إبليسَ من السجود لآدم إلا الحَسَدُ؟! فَإِنَّهُ
لما رآه قد فُضِّلَ عليه ورُفِعَ فوقه، عَصَّ بريقه واختار الكفر
على الإيمان، بعد أن كان بين الملائكة.

وهذا الدَّاء هو الذي منع اليهود من الإيمان بـعيسى
ابن مريم عليه السلام، وقد علموا علمًا لا شكَّ فيه أَنَّهُ رسول الله
جاء بالبينات والهدى؛ فحملهم الحسد على أن اختاروا
الكفر على الإيمان، وأطبقوا عليه، وهم أمة فيهم الأُحبار
والعلماء والزهاد والقضاة والملوك والأمراء.

هذا؛ وقد جاء المسيح بحكم التوراة ولم يأت بشريعة
تخالفها، ولم يقاتلهم، وإنما أتى بتحليل بعض ما حُرِّمَ
عليهم تخفيفًا ورحمةً وإحسانًا، وجاء مكملًا لشريعة
التوراة، ومع هذا فاختروا كلهم الكفر على الإيمان.

فكيف يكون حالهم مع نبيٍّ جاء بشريعةٍ مستقلة
ناسخة لجميع الشرائع، مُبَكِّتًا لهم بقبائحهم، ومناديًا على
فضائحتهم، مخرجًا لهم من ديارهم، وقد قاتلوه وحاربوه،
وهو في ذلك كله ينصر عليهم ويظفر بهم، ويعلو هو

وأصحابه، وهم معه دائماً في سفال (٧٧).

٤٥- (الأنبياء كلهم إخوة)

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الأنبياء كلهم إخوة لِعَلَّاتٍ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، إنه ليس بيني وبينه نبي وإنه نازل إذا رأيتموه فاعرفوه: رجلٌ مربوعٌ إلى الحمرة والبياض بينَ مُصَرِّينَ، كأنَّ رأسه يقطرُ وإن لم يُصبه بللٌ، فيقاتلُ الناسَ على الإسلامِ فيدقُّ الصليبَ ويقتلُ الخنزيرَ، ويضعُ الجزيةَ ويهلكُ الله في زمانه المللَ كلها إلا الإسلامَ، ويهلكُ المسيحَ الدَّجَالَ وتقعُ الأمانةُ في الأرضِ، حتى ترتعَ الأسودُ مع الإبلِ والنَّارُ مع البقرِ والدُّنَّابُ مع الغنمِ، ويلعبُ الصَّبيانُ بالحياتِ، لا تضرُّهم فيمكثُ في الأرضِ أربعينَ سنةً ثم

(٧٧) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى»: ص ٣٩، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

يَتَوَفَّى فِيصَلِّيَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ» (٧٨).

شَرَعَ اللَّهُ ﷻ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا وَصَّى بِهِ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ قَبْلِهِ؛ فَيِنَّ الْقُرْآنُ أَنَّ الدِّينَ وَاحِدَ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ الْإِسْلَامُ، وَلَكِن الشَّرَائِعَ تَبَدَّلَ كِي تَنَاسَبَ مَعَ عَصْرِ كُلِّ رَسُولٍ، وَعِنْدَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «الْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ إِخْوَةٌ لِعَلَاتِ أُمَّهَاتِهِمْ شَتَّى»، أَي: أَنَّهُمْ أُخْوَةٌ لِأَبٍ وَاحِدٍ مِنْ أُمَّهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، «وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ» أَي: أَنَّ شَرَائِعَهُمْ مُتَّفِقَةٌ مِنْ حَيْثُ الْأُصُولُ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ مِنْ حَيْثُ الْفُرُوعُ، وَحَسَبَ الزَّمَنَ وَالْخُصُوصِ وَالْعُمُومِ.

وَقَالَ: «وَأَنَا أَوَّلِي النَّاسِ بَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ» بَشَّرَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَقَالَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَمُبَشَّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» [الصف: ٦]؛ وَلَئِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا نَبِيٌّ، فَهُوَ أَخُوهُ الْأَقْرَبُ إِلَيْهِ، «وَأَنَّهُ نَازِلٌ»، أَي: يَنْزِلُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْأَرْضِ،

(٧٨) «تَخْرِيجَ صَحِيحِ ابْنِ حَبَانَ»: ٦٨٢١، إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ عَلَى

شَرَطِ مُسْلِمٍ، ت: شَعِيبُ الْأَرْنَؤُوطِ.

«إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ»، أي: أوصافه الله: «رَجُلٌ مَرْبُوعٌ»، أي: معتدل القامة ليس بالطَّوِيلِ ولا القَصِيرِ، «إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ»، أي: لونه وسط بين اللونين، «بَيْنَ مُخَصَّرَيْنِ»، أي: عليه ثوبانِ لونهما مائلٌ لصفرة خفيفة، «كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصْبِهِ بَلَلٌ»، كناية عن نظافته، «فِيدُقُ الصَّلِيبَ»، أي: يكسره، «وَيَقْتُلُ الْخَنَزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ»، أي: لا يقبل الجزية، وإنما شرطه الوحيد هو قبول الإسلام، «وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ»، أي: لن يُبْقِيَ اللهُ ﷻ للكفر الغلبة والعزة، وتكون الولاية والقدرة لأهل الإسلام، «وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ»، أي: يقتله عيسى عليه السلام. «وَتَقَعُ الْأَمْنَةُ عَلَى الْأَرْضِ»، أي: يسود السلام والأمان وفي الأرض، «حَتَّى تَرْتَعَ الْأَسْوَدُ مَعَ الْإِبْلِ، وَالتَّارُ مَعَ الْبَقْرِ، وَالدَّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبُ الصَّبِيَانُ بِالْحَيَاتِ لَا تَضُرُّهُمْ». ثم قال ﷺ: «فَيَمَكْتُ»، أي: سيقى، «فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلَّى عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ»، أي: يُصَلُّونَ عليه صلاة الجنازة كما هو في الإسلام.

٤٦- لَوْلَا الْعِلْمُ

قال ابن الجوزي: لَوْلَا الْعِلْمُ لَكَانَ الْإِنْسَانُ بِهِيْمَةً،
وَلَوْلَا اللَّطْفُ لَكَانَتِ الْبَلِيَّةُ عَظِيمَةً، فَاسْأَلُوا اللَّهَ لَطْفَهُ فِي
جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وَلَيْكُنْ تَعْظِيمُ الْقُرْآنِ مِنْكُمْ عَلَى بَالٍ،
فَبُجُودُ اللَّطْفِ وَعَدَمُهُ، سَعْدٌ مِنْ سَعْدٍ وَشَقِيٌّ مِنْ شَقِيٍّ،
وَبِالتَّقْصِيرِ لَقِيَ الْمَقْصَرُ مَا لَقِيَ ^(٧٩).

وقال ابن مسعود: إِذَا أَرَدْتُمْ الْعِلْمَ فَانْشَرُوا الْقُرْآنَ، فَإِنْ
فِيهِ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ^(٨٠).

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: لَنْ تَكُونَ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ
مُتَعَلِّمًا، وَلَا تَكُونَ مُتَعَلِّمًا حَتَّى تَكُونَ بِمَا عَلِمْتَ عَامِلًا،
إِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ إِذَا وَقُفْتُ لِلْحِسَابِ أَنْ يُقَالَ لِي: مَا
عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟

(٧٩) «التذكرة في الوعظ»: ص ١٥٣، للإمام الحافظ أبي الفرج

عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

(٨٠) «إحياء علوم الدين»: ١/ ٣٢٣، لأبي حامد محمد بن محمد

الغزالي الطوسي، متوفى ٥٠٥هـ.

وقال: ويل للذي لا يعلمُ مرة، وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات.

وعن عون بن عبد الله: قلت لأم الدرداء: أي عبادة أبي الدرداء كانت أكثر؟ قالت: التفكير والاعتبار.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: تفكر ساعة خير من قيام ليلة ^(٨١).

٧٤- إن أهل العلم منهم على يقين

قال الدارمي: حدثنا الزهراني أبو الربيع قال: كان من هؤلاء الجهمية رجل، وكان الذي يظهر من رأيه الترفض، وانتحال حب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال رجل ممن خالطه ويعرف مذهبه: قد علمت أنكم لا ترجعون إلى دين الإسلام، ولا تعتقدونه، فما الذي حملكم على الترفض وانتحال حب علي؟ قال: إذا أصدقك أنا، إن أظهرنا رأينا الذي نعتقده رمينا بالكفر والزندقة، وقد وجدنا أقوامًا

(٨١) «سير أعلام النبلاء»: ٣٤٧ / ٢، للإمام شمس الدين محمد

ابن أحمد بن عثمان الذهبي، متوفى ٧٤٨ هـ.

يتتحلون حب علي ويظهرونه، ثم يقعون بمن شاءوا، ويعتقدون ما شاءوا، ويقولون ما شاءوا، فنسبوا إلى الترفض والتشيع، فلم نر لمذهبنا أمراً ألطف من انتحال حب هذا الرجل، ثم نقول ما شئنا، ونعتقد ما شئنا، ونقع بمن شئنا، فلأن يقال لنا: رافضة، أو شيعة، أحب إلينا من أن يقال: زنادقة وكفار، وما علي عندنا بأحسن حالاً من غيره ممن نقع بهم.

قال أبو سعيد عليه السلام: وصدق هذا الرجل فيما عبر عن نفسه ولم يراوغ، وقد استبان ذلك من بعض كبرائهم وبصرائهم أنهم يستترون بالتشيع، يجعلونه تشيئاً لكلامهم وخطبهم وسلماً وذريعة لاصطياد الضعفاء وأهل الغفلة، ثم يبذرون بين ظهرائي خطبهم بذر كفرهم وزندقتهم، ليكون أنجع في قلوب الجهال وأبلغ فيهم، ولئن كان أهل الجهل في شك من أمرهم، إن أهل العلم منهم على يقين، ولا حول ولا قوة إلا بالله ^(٨٢).

(٨٢) «الرد على الجهمية»: ص ١٧٩، للإمام عثمان بن سعيد الدارمي، متوفى ٢٨٠هـ.

٤٨- الصحابة كلهم عدول ﷺ

قال القرطبي: فالصحابه كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياءه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله. هذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة. وقد ذهبت شِرْذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم. ومنهم من فرق بين حالهم في بُدْاء الأمر، فقال: إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك، ثم تغيّرت بهم الأحوال فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء، فلا بُدَّ من البحث. وهذا مردود، فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعليّ وطلحة والزبير وغيرهم ﷺ ممن أثنى الله عليهم وزكّاهم ورضي عنهم وأرضاهم ووعدهم الجنة، بقوله تعالى: ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول، هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك. وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم، إذ كانت تلك الأمور مبنية

على الاجتهاد، وكل مجتهد مصيب^(٨٣).

سئل الإمام النسائي عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ، فقال: إنما الإسلام كدار لها باب، فباب الإسلام الصحابة، فمن آذى الصحابة إنما أراد الإسلام، كمن نقر الباب - أي نقبه - إنما يريد دخول الدار، قال: فمن أراد معاوية فإنما أراد الصحابة^(٨٤).

وقال الميموني: قال لي أحمد بن حنبل رضي الله عنه: يا أبا الحسن، إذا رأيت رجلاً يذكرُ أحداً من الصَّحابة بسوءٍ فَاتَّهَمِهِ على الإسلام.

وقال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن رجلٍ تَنَقَّصَ مُعَاوِيَةَ، وعمر بن العاص: أَيُّقَالُ له رافضيٌّ؟ فقال: إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيثةٌ سوءٌ، ما انتَقَصَ أحدٌ أحداً من أصحاب

(٨٣) «الجامع لأحكام القرآن»: ١٥/١٩٧، لأبي عبد الله محمد

ابن أحمد الأنصاري القرطبي، متوفى ٦٧١ هـ.

(٨٤) «سنن النسائي»: ١/٦٤، بشرح الحافظ جلال الدين

السيوطي، متوفى ٩١١ هـ.

رسول الله ﷺ إلا وله داخلَةٌ سُوءٌ (٨٥).

٩- ماتوا وانقطع أثرهم وبقي علم العالم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد زلّت في هذا المشهد - الأمر الشرعي ومشهد الأمر الكوني الإرادي - أقدام كثير من السالكين، لقلة معرفتهم بما بعث الله به المرسلين، وذلك لأنهم عبدوا الله على مرادهم منه، ففنوا بمرادهم عن مراد الحق ﷻ منهم، لأن الحق يغني بمراده ومحبوه، ولو عبدوا الله على مراده منهم لم ينلهم شيء من ذلك (٨٦).

وذكر ابن حجر رحمه الله في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «نُودي بدمشق أن من اعتقد عقيدة ابن تيمية

(٨٥) «البداية والنهاية»: ١١ / ٤٥٠، للحافظ عماد الدين أبي الفداء

إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ٧٧٤ هـ.

(٨٦) «مجموع الفتاوى»: ١ / ٩٠، لشيخ الإسلام تقي الدين

أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

الحراني، متوفى ٧٢٨ هـ.

حلَّ دُمُهُ ومَالُهُ، خصوصًا الحنابلة، فنودي بذلك، وقرئ
المرسوم»^(٨٧).

فمات كل من كاتب ونادى ومن أمر بالكتابة والنداء
وانقطع أثرهم، وبقي ابنُ تيمية وعلمُه إلى يومنا هذا
يُتَدَارَسُ في حلقات العلم.

٥٠- فغلب عليه هذا الاسم

توفي حاتم الأصم الزاهد المشهور البلخي، ولم يكن
أصم، وإنما سمي به لأن امرأة جاءت تسأله عن مسألة
فخرج منها صوت فخرجت، فأوهمها أنه أصم، وقال:
ارفعي صوتك، فسرت المرأة ظناً منها أنه لم يسمع
حبقتها، فغلب عليه هذا الاسم^(٨٨).

قال الشعبي: تعايش الناس بالدين زمناً طويلاً حتى
ذهب الدين -من نفوسهم-، ثم تعايش الناس بالمروءة

(٨٧) «الدُّرَرُ الكامنة»: ١/ ١٤٧، للشيخ الحافظ ابن حجر العسقلاني،
متوفى ٨٥٢هـ.

(٨٨) «تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر»:
١/ ٣٥٢، الملك المؤيد عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن
علي بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، متوفى ٢٣٧هـ.

زمنًا طويلاً. حتى ذهب المروءة، ثم تعايش الناس بالحياة
زمنًا طويلاً. حتى ذهب الحياء، ثم تعايش الناس بالرغبة
والرهبة، وأظن أنه سيأتي بعد ذلك ما هو أشد منه^(٨٩).

٥١- فضل طلب العلم

قال الربيع بن سليمان: قال لي الشافعي: اقبل مني
ثلاثة أشياء: لا تخوضنَّ في أصحاب رسول الله ﷺ؛ فإنَّ
خَصَمَكَ النبيُّ ﷺ يوم القيامة، ولا تشتغل بالكلام؛ فإني
قد اطلعت من أهل الكلام على أمرٍ عظيم، ولا تشتغل
بالنجوم فإنه يجرُّ إلى التعطيل.

وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: يحتاج طالب
العلم إلى ثلاث خصال: طول العمر، وسعة ذات اليد،
والذكاء.

وقال: العلم علمان علم الأديان الفقه، وعلم الأبدان

(٨٩) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»: ٤ / ٣١٢، للحافظ أبي
نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، متوفى ٤٣٠هـ..

الطب. وقال: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة^(٩٠).

٥٢- العلم علما

قال أبو حاتم: حدثنا محمد بن يحيى بن حسان، سمعت الشافعي يقول: العلم علما: علم فقه الأديان، وعلم طب الأبدان. وقال: وما سواه من الشعر وغيره فعناء وعبث.

وقال حرملة بن يحيى: كان الشافعي يتلهف على ما ضيَّع المسلمون من الطب، ويقول: ضيَّعوا ثلث العلم، ووكلوه إلى اليهود والنصارى.

وقال الربيع بن سليمان المرادي: سمعت الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ، ودعوا ما قلته^(٩١).

(٩٠) «توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس»: ص ١٣٨،

للشيخ الحافظ ابن حجر العسقلاني، متوفى ٨٥٢هـ.

(٩١) «مناقب الإمام الشافعي»: ص ١٠٧-١١٦، للإمام أبي بكر

أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي، متوفى ٤٥٨هـ.

وقال الشافعي: إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث، فكأنما رأيت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، جزاهم الله خيراً، هم حفظوا لنا الأصل، فلهم علينا الفضل (٩٢).

وقال أبو الفضل الزجاج: لما قدم الشافعي إلى بغداد، وكان في الجامع إمامان وأربعون حلقة أو خمسون حلقة، فلما دخل بغداد ما زال يقعد في حلقة، حلقة، ويقول لهم: قال الله، وقال الرسول، وهم يقولون: قال أصحابنا، حتى ما بقي في المسجد حلقة غيره (٩٣).

٥٣- يأتي زمان يقود الهوى الحق

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠].

-
- (٩٢) «توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس»: ص ١١٠، للشيخ الحافظ ابن حجر العسقلاني، متوفى ٨٥٢ هـ.
- (٩٣) «تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها»: ٢ / ٢٥٤، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، متوفى ٣٦٤ هـ.

قال القرطبي: أي: حذر مقامه بين يدي ربه. وقال الربيع: مقامه يوم الحساب. وكان قتادة يقول: إن الله ﷻ مقامًا قد خافه المؤمنون. وقال مجاهد: هو خوفه في الدنيا من الله ﷻ عند مواجهة الذنب فيقلع. نظيره: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرَّحْمَن: ٤٦]، ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النَّازِعَات: ٤٠]. أي: زجرها عن المعاصي والمحارم. وقال سهل: ترك الهوى مفتاح الجنة، لقوله ﷻ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النَّازِعَات: ٤٠]. قال عبد الله بن مسعود: أنتم في زمان يقود الحق الهوى، وسيأتي زمان يقود الهوى الحق فنعود بالله من ذلك الزمان^(٩٤).

٥٤- دواؤك ترك هواك

قال السري بن يحيى، سمعت مالك بن دينار، يقول: بئس العبد عبدُ همه هواه وبطنه.

(٩٤) «الجامع لأحكام القرآن»: ١٠ / ١٣٥، لأبي عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي، متوفى ٦٧١ هـ.

وقال الأصمعي، سمعت أعرابياً، يقول: إذا أشكل عليك أمران لا تدري أيهما أرشد، فخالف أقربهما من هوك، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى.

وقال ابن السماك: إن شئت أخبرتك بدائك، وإن شئت أخبرتك بدوائك. داؤك هوك، ودواؤك ترك هوك.

وقال وهب بن نعيم، سمعت بشراً، يقول: اعلم أن البلاء كله في هوك، والشفاء كله في مخالفتك إياه.

وقال سعدان بن يزيد: قال لي سنيد: سمعت حجاجاً، يقول: الكفر في أربعة أشياء: في الغضب والشهوة والرغبة والرغبة. ثم قال حجاج: رأيت منه اثنين، رجلاً غضب فقتل أمه، ورأيت رجلاً عشق فتنصر (٩٥).

٥٥- أكثر من قراءة القرآن

قال إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي الدمشقي الفقيه موصياً الضياء المقدسي، وقت سفره لطلب العلم: «أكثر

(٩٥) «دَمُّ الهوى»: ص ٢٥-٢٧، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

من قراءة القرآن، ولا تتركه، فإنه ييسر لك الذي تطلبه على قدر ما تقرأ». قال: فرأيت ذلك وجربته كثيرًا، فكنت إذا قرأت كثيرًا تيسر لي من سماع الحديث وكتابته الكثير، وإذا لم أقرأ لم ييسر لي (٩٦).

وقال إبراهيم الخوَّاص: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين (٩٧).

٥٦- من جعل المصيبة صبرًا

قال الله تعالى: ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣].

قال الطبري: يعني تعالى ذكره: ما أصابكم أيها الناس

(٩٦) «الذيل على طبقات الحنابلة»: ٢ / ٧٧، للإمام الحافظ زين

الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن

رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، متوفى ٧٩٥هـ.

(٩٧) «ذم الهوى»: ص ٦٣، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن

ابن علي بن محمد ابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

من مصيبة في أموالكم ولا في أنفسكم، إلا في كتاب قد كتب ذلك فيه، من قبل أن نخلق نفوسكم **﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾** يقول: لكيلا تحزنوا **﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾** من الدنيا، فلم تدركوه منها، **﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾** منها^(٩٨). عن عكرمة عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنه قال: لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَحْزَنُ وَيَفْرَحُ، ولكن من جعل المصيبة صبراً، وجعل الخير شكراً^(٩٩).

٥٧- «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟»

عن المغيرة بن شعبة، قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصَفِّحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهِ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُدْرُ مِنَ اللَّهِ،

(٩٨) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»: تفسير الطبري، لأبي جعفر

محمد بن جرير الطبري، المتوفى: ٣١٠هـ.

(٩٩) «المصنف»: ص ٢٦٩، الرقم: ٣٥٧٩٦، للإمام الحافظ أبي

بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أبي شيبة، متوفى ٢٣٥هـ.

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنذِرِينَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْجَنَّةَ» (١٠٠).

قال ابن الجوزي: ذُكر الزنا عند يحيى بن خالد بن برمك، فقال: الزنا يجمع الخصال كلها من الشر. لا تجد زانياً معه ورع، ولا وفاءً بعهد، ولا محافظةً على صديق؛ الغدر شعبةٌ من شعبه، والخيانة فنٌّ من فنونه، وقلة المروءة عيبٌ من عيوبه، وسفك الدّم الحرام جنايةٌ من جناياته.

وعن عدي بن ثابت قال: سمعت عبد الله بن عباس يقول: كان في بني إسرائيل راهبٌ عبد الله زماناً من الدهر، حتّى كان يؤتى بالمجانين يعوذهم فيبرؤون على يديه. وأنه أتى بامرأةٍ من أشراف قومها قد جنت وكان لها أخوة، فأتوه بها، فلم يزل الشيطان يزيّن له حتّى وقع عليها، فحملت، فلمّا استبان حملها، لم يزل الشيطان يخوّفه ويزيّن له قتلها ودفنها، فقتلها ودفنها.

وذهب الشيطان في صورة رجل حتّى أتى بعض أخوتها، فأخبره بالذي فعل الراهب، ثمّ أتى بقيّة أخوتها رجلاً رجلاً فجعل الرجل يلقي أخاه فيقول له: والله لقد أتاني آتٍ فذكر لي شيئاً كبيراً علينا. فأخبر بعضهم بعضاً بما قيل لهم، فأتوا إلى الراهب فقالوا: ما فعلت أختنا؟ قال: خرجت، ولست أدري أين ذهبت. فرفعوا ذلك إلى ملكهم، فسار إليه الناس حتّى استنزلوه من صومعته، فأقرّ لهم بالذي فعل، فأمر به فصلب على خشبة، وتمثّل له الشيطان، فقال له: أنا الذي زيّنت لك هذا وألقيتك فيه، فهل أنت مطيعي فيما أقول لك وأخلصك؟ قال: نعم. قال: تسجد لي سجدةً واحدةً فسجد له الرجل، ثمّ قتل. فهذا داخلٌ تحت قول الله ﷻ: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦]. ولم تزل أشراف العرب في الجاهليّة يتجنّبون الزّنا ويذمّونه، وينهون عنه، الزّنا يورث الفقر (١٠١).

(١٠١) «أخبار النساء»: ص ١٤٣-١٤٤، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

٥٨- «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ»

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: كَانَتْ امْرَأَةٌ (عَاتِكَةُ بِنْتُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ) لِعُمَرَ تَشْهَدُ صَلَاةَ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ فِي الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ، فَقِيلَ لَهَا: لَمْ تَخْرُجِيْنَ وَقَدْ تَعْلَمِينَ أَنَّ عُمَرَ يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَغَارُ؟ قَالَتْ: وَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْهَانِي؟ قَالَ: يَمْنَعُهُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ» ^(١٠٢).

أَحْكَامُ النِّسَاءِ خَاصَّةٌ بِهِنَّ فِي حُضُورِ الصَّلَوَاتِ فِي الْمَسَاجِدِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِنَّ الْحِشْمَةُ، وَعَدَمُ إِظْهَارِ الزِينَةِ، وَالبُعْدُ عَنْ مَوَاطِنِ الشُّبُهَاتِ، وَسَدُّ ذُرِيَةِ الْفِتْنَةِ.

قال ابن تيمية: فالفارق بين لباس الرجال والنساء يعود إلى ما يصلح للرجال، وما يصلح للنساء، وهو ما يناسب ما يؤمر به الرجال وما تؤمر به النساء، فالنساء مأمورات بالاستتار والاحتجاب، دون التبرج والظهور، ولهذا لم يشرع للمرأة رفع الصوت في الأذان ولا التلبية،

(١٠٢) متفق عليه، «أخرجه البخاري»: ٩٠٠، و«أخرجه مسلم»:

ولا الصعود إلى الصفا والمروة، ولا التجرد في الإحرام كما يتجرد الرجل (١٠٣).

٥٩- ﴿ فَأَنْتَ ثَالِثُهُمَا فِي الْجَنَّةِ ﴾

عن أبي بن كعب رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انْتَسَبَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ مُوسَى، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ، حَتَّى عَدَّ تِسْعَةً، فَمَنْ أَنْتَ لَا أُمَّ لَكَ؟ قَالَ: أَنَا فَلَانُ ابْنِ فَلَانِ ابْنِ الْإِسْلَامِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى أَنْ قُلْ لِهَذَيْنِ الْمُنْتَسِبَيْنِ: أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَسِبُ إِلَى تِسْعَةٍ فِي النَّارِ فَأَنْتَ عَاشِرُهُمْ فِي النَّارِ، وَأَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْمُنْتَسِبُ إِلَى اثْنَيْنِ فِي الْجَنَّةِ فَأَنْتَ ثَالِثُهُمَا فِي الْجَنَّةِ» (١٠٤).

(١٠٣) «مجموع الفتاوى»: ١٣/ ٧٩-٨٠، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، متوفى ٧٢٨ هـ.

(١٠٤) «صحيح الجامع»: للألباني ١٤٩٢، وأخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند»: ٢١٢١٦، وعبد بن حميد في «المسند»: ١٧٩، والدليمي في «الفردوس»: ١٦٤٣، باختلاف يسير.

قال ابن تيمية: ولهذا ليس في كتاب الله آية واحدة يمدح فيها أحداً بنسبه، ولا يذم أحداً بنسبه؛ وإنما يمدح بالإيمان والتقوى، ويذم بالكفر والفسوق والعصيان (١٠٥).

٦٠- «لَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَتَرَوُنَّ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ»

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتُلَ فِتْنَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعَوْتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ، وَهُوَ الْقَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ، حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ

(١٠٥) «مجموع الفتاوى»: ١/ ١٥٢-١٥٣، لشيخ الإسلام تقي

الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن

تيمية الحراني، متوفى ٧٢٨ هـ.

النَّاسُ فِي الْبُيُوتِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ! وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ -يَعْنِي آمَنُوا- أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بَلْبَنٍ لِقَحْتِهِ فَلَا يَطْعُمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعُمُهَا» (١٠٦).

وعن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكُرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكُرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالْجِبَالَ، وَالْدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خُسُوفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخُسُوفٌ بِالْمَغْرِبِ،

وَحَسَفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ،
تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ» (١٠٧).

٦١- الخوف يكف الجوارح عن المعاصي

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت، فإنك إن قلت: (لا) كفرت، وإن قلت (نعم) كذبت، وأشار به أن الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي، ويقيدها بالطاعات، وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفاً. وأما المفرط فإنه الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط، وهو مذموم أيضاً لأنه يمنع من العمل.

قال إبراهيم الأطروش: كنا قعوداً ببغداد مع معروف الكرخي على دجلة، إذ مرّ أحداث في زورق يضربون بالدف ويشربون ويلعبون، فقالوا لمعروف: أما تراهم

يعصون الله مجاهرين، ادعُ الله عليهم، فرفع يديه، وقال: إلهي كما فرّحتهم في الدنيا ففرّحهم في الآخرة، فقال القوم: إنما سألناك أن تدعو عليهم! فقال: إذا فرّحهم في الآخرة تاب عليهم.

وكان بعض السلف يقول في دعائه: يارب وأي أهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم داراً، سبحانك ما أحلمك وعزتك إنك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدرّ الرزق حتى كأنك ياربنا لاتغضب^(١٠٨).

٦٢- فأَي الفريقين أحق بالصراط المستقيم

قال ابن القيم في بيان للرد على الرافضة: قول الله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الْفَاتِحَةُ: ٦] إلى آخرها. وجه تضمنه إبطال قولهم: أنه سبحانه قسم الناس إلى

(١٠٨) «إحياء علوم الدين»: ص ١٨٨-١٩١، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، متوفى ٥٠٥هـ.

ثلاثة أقسام. (منعم عليهم)، وهم أهل الصراط المستقيم، الذين عرفوا الحق واتبعوه. ومغضوب عليهم وهم الذين عرفوا الحق ورفضوه، وضالون، وهم الذين جهلوه فأخطؤوه.

فكل من كان أعرف للحق، وأتبع له: كان أولى بالصراط المستقيم. ولا ريب أن أصحاب رسول الله ﷺ وهم أولى بهذه الصفة من الروافض.

فإنه من المحال أن يكون أصحاب رسول الله ﷺ جهلوا الحق وعرفه الروافض، أو رفضوه وتمسك به الروافض.

ثم إنا رأينا آثار الفريقين تدل على أهل الحق منهما، فرأينا أصحاب رسول الله ﷺ فتحوا بلاد الكفر، وقلبوها بلاد إسلام. وفتحوا القلوب بالقرآن والعلم والهدى. فآثارهم تدل على أنهم هم أهل الصراط المستقيم.

ورأينا الرافضة بالعكس في كل زمان ومكان، فإنه قطُّ ما قام للمسلمين عدو من غيرهم، إلا كانوا أعوانهم

على الإسلام، وكم جرّوا على الإسلام وأهله من بليّة؟ وهل عاثت سيوف المشركين عبّاد الأصنام - من عسكر هولاء وذويه من التتار - إلا من تحت رؤوسهم؟ وهل عطلت المساجد، وحرقت المصاحف، وقتل سروات المسلمين وعلمائهم وعبادهم وخليفتهم إلا بسببهم ومن جرّائهم؟ ومظاهرتهم للمشركين والنصارى معلومة عند الخاصة والعامة، وآثارهم في الدين معلومة.

فأي الفريقين أحق بالصراط المستقيم؟ وأيهم أحق بالغضب والضلال، إن كنتم تعلمون؟^(١٠٩)

٦٣- تَدْرِكُ النِّعْمَةُ بِنُورِ الْعَقْلِ

قال ابن القيم: «فَأَمَّا مَعْرِفَةُ النِّعْمَةِ: فَإِنَّهَا تَصْفُو بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: بِنُورِ الْعَقْلِ، وَشِيَمِ بُرُوقِ الْمِنَّةِ، وَالْإِعْتِبَارِ بِأَهْلِ الْبَلَاءِ».

(١٠٩) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»:

ص ٦٥-٦٦، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١ هـ.

يَعْنِي أَنَّ حَقِيقَةَ مُشَاهَدَةِ النُّعْمَةِ: تَصْفُو بِهِذِهِ الثَّلَاثَةِ،
فَهِيَ النُّورُ الَّذِي أَوْجَبَ الْيَقَظَةَ، فَاسْتَنَارَ الْقَلْبُ بِهِ لِرُؤْيَةِ
التَّنْبِئَةِ، وَعَلَى حَسْبِهِ -قُوَّةٌ وَضَعْفًا- تَصْفُو لَهُ مُشَاهَدَةُ
النُّعْمَةِ. فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَّا فِي مَأْكَلِهِ وَمَلْبَسِهِ،
وَعَافِيَةِ بَدَنِهِ، وَقِيَامِ وَجْهِهِ بَيْنَ النَّاسِ، فَلَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ
هَذَا النُّورِ الْبَتَّةَ، فَنِعْمَةُ اللَّهِ بِالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ، وَجَذَبِ
عَبْدِهِ إِلَى الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَالتَّعَمُّ بِذِكْرِهِ، وَالتَّلَذُّ بِطَاعَتِهِ هُوَ
أَعْظَمُ النِّعَمِ، وَهَذَا إِنَّمَا يُدْرِكُ بِنُورِ الْعَقْلِ، وَهِدَايَةِ التَّوْفِيقِ.
وَكَذَلِكَ شَيْمُهُ بُرُوقٌ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ النَّظَرُ إِلَيْهَا،
وَمُطَالَعَتُهَا مِنْ خِلَالِ سُحْبِ الطَّبَعِ، وَظُلُمَاتِ النَّفْسِ.

وَالنَّظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبَلَاءِ -وَهُمْ أَهْلُ الْغَفْلَةِ عَنِ اللَّهِ،
وَالْإِبْتِدَاعِ فِي دِينِ اللَّهِ- فَهَذَانِ الصَّنَفَانِ هُمُ أَهْلُ الْبَلَاءِ
حَقًّا، فَإِذَا رَأَاهُم، وَعَلِمَ مَا هُمْ عَلَيْهِ، عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ
فِي قَلْبِهِ، وَصَفَتْ لَهُ وَعَرَفَ قَدْرَهَا، فَالضَّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ
الضَّدُّ وَبِضْدِهَا تَتَمَيَّزُ الْأَشْيَاءُ.

حَتَّى إِنَّ مَنْ تَمَامَ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: رُؤْيَا أَهْلِ النَّارِ وَمَا

هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ^(١١٠).

٦٤- فضائل الخلفاء عليهم السلام

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي»^(١١١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ»^(١١٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدِّثُونَ»^(١١٣)، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي

(١١٠) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»:

١/ ١٢٢، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١ هـ.

(١١١) «صحيح البخاري»: ٣٦٥٦.

(١١٢) «صحيح مسلم»: ٢٣٨٣.

(١١٣) أَيِ الْمُتْلِهِمِينَ الَّذِينَ يَجْرِي الرُّشْدُ وَالصَّوَابُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، بفضل الله تعالى وتوفيقه.

هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب» (١١٤).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:
«والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قط سالكا فجاء إلا
سلك فجاء غير فجك» (١١٥).

وعن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من جهز
جيش العسرة فله الجنة»، قال: (عثمان رضي الله عنه) فجهازتهم (١١٦).

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه، قال: جاء
عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش
العسرة، ففرغها عثمان في حجر النبي ﷺ، قال: فجعل
النبي ﷺ يقلبها ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا
اليوم» قالها مرارا (١١٧).

وعن سلمة بن الأكوع، كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه،
تخلف عن النبي ﷺ في خيبر، وكان رمدا، فقال: أنا

(١١٤) «صحيح البخاري»: ٣٤٦٩.

(١١٥) متفق عليه. «أخرجه البخاري»: ٣٢٩٤، و«مسلم»: ٢٣٩٦.

(١١٦) «صحيح البخاري»: ٢٧٧٨.

(١١٧) «المستدرک علی الصحیحین»: ٤٦١١، صحيح الإسناد.

أَتَخَلَّفُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَحِقَ بِهِ، فَلَمَّا بَتْنَا اللَّيْلَةَ الَّتِي
فُتِحَتْ - خَيْرٌ - قَالَ: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا، - أَوْ - لَيَأْخُذَنَّ
الرَّايَةَ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يُفْتَحُ عَلَيْهِ» فَنَحْنُ
نَرْجُوها، فَقِيلَ: هَذَا عَلَيٌّ، فَأَعْطَاهُ، فَفُتِحَ عَلَيْهِ (١١٨).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ» (١١٩).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ أَحَدًا،
وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: «اِئْتِ
أَحَدُ؛ فَإِنَّا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ» (١٢٠).

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ،
وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ...»؛ وَلِلْحَدِيثِ تَمَتُّةٌ (١٢١).

(١١٨) «صحيح البخاري»: ٤٢٠٩.

(١١٩) «صحيح البخاري»: ٤٢٥١.

(١٢٠) «صحيح البخاري»: ٣٦٧٥.

(١٢١) «رواه الترمذي»: ٣٧٤٧، و«النسائي»: ٥٦/٥، و«أحمد»:

١٩٣/١، وصححه الألباني.

٦٥- البكاء عند قراءة القرآن صفة العارفين

قال الإمام النووي رحمه الله: ينبغي للقارئ أن يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع، فهذا هو المقصود المطلوب، وبه تشرح الصدور وتستير القلوب، ودلائله أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر. وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم الآية الواحدة ليلة كاملة أو معظم ليلة يتدبرها عند القراءة. وصعق جماعة منهم، ومات جماعات منهم.

ويستحبّ البكاء والتباكي لمن لا يقدر على البكاء، فإن البكاء عند القراءة صفة العارفين ^(١٢٢) وشعار عباد

(١٢٢) وقد روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ علي»، قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري»، فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال: «حسبك»، أو قال: «أمسك»، فإذا عيناه تذرفان، «صحيح البخاري»: ٥٠٥٦.

الله الصَّالِحِينَ، قال الله تعالى: ﴿وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ
وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩] (١٢٣).

وقال الإمام أبو حامد الغزالي: البكاء مستحب مع القراءة وعندها، وطريقه في تحصيله أن يحضر قلبه الحزن بأن يتأمل ما فيه من التهديد، والوعيد الشديد، والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في ذلك، فإن لم يحضره حزن وبكاء يحضر الخواص، فليبك على فقد ذلك؛ فإنه من أعظم المصائب (١٢٤).

٦٦- فوائد الذكر

قال ابن القيم: في الذكر أكثر من مائة فائدة: (إحداهن): أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره. الثانية: أنه يرضي الرحمن ﷻ. الثالثة: أنه يزيل الهم والغم

(١٢٣) (الأذكار من كلام سيد الأبرار): ص ١٢٣، تأليف: محيي

الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، متوفى ٦٧٦هـ.

(١٢٤) «التيبان في آداب حملة القرآن»: ص ٥٩، تأليف: محيي الدين

أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، متوفى ٦٧٦هـ.

عن القلب. الرابعة: أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط. والخامسة: أنه يقوي القلب والبدن.

السادسة: أنه ينور الوجه والقلب. السابعة: أنه يجلب الرزق. الثامنة: أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة. التاسعة: أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحي الدين ومدار السعادة والنجاة. العاشرة: أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه. الحادية عشرة: أنه يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلى الله ﷻ. الثانية عشرة: أنه يورثه القرب منه، فعلى قدر ذكره لله ﷻ يكون قربه منه، وعلى قدر غفلته يكون بعده منه. الثالثة عشرة: أنه يفتح له باباً عظيماً من أبواب المعرفة، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة. الرابعة عشرة: أنه يورثه الهيبة لربه ﷻ وإجلاله. الخامسة عشرة: أنه يورثه ذكر الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]. ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً، وقال ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى:

«مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَطْيَبَ» (١٢٥).

السادسة عشرة: أنه يورث حياة القلب. وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسّمك فكيف يكون حال السّمك إذا فارق الماء. السابعة عشرة: أنه قوت القلب والروح، فإذا فقد العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته. الثامنة عشرة: أنه يورث جلاء القلب من صدئه. التاسعة عشرة: أنه يحط الخطايا ويذهبها، فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهب السيئات. العشرون: أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى، فإن الغافل بينه وبين الله عز وجل وحشة لا تزول إلا بالذكر (١٢٦).

وقال: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله تعالى

(١٢٥) متفق عليه. «أخرجه البخاري»: ٧٤٠٥، و«مسلم»: ٢٦٧٥، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٢٦) «الوابل الصيب من الكلم الطيب»: ص ٤٢-٤٤، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ٧٥١هـ.

روحه، يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسّمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟^(١٢٧)

٦٧- فضل آل البيت ﷺ

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه، بَشَّرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خَدِيجَةَ؟ قَالَ: «نَعَمْ بَيْتٌ مِنْ قَصَبٍ^(١٢٨)، لَا صَحْبَ فِيهِ وَلَا نَصَبٍ»^(١٢٩).

وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي»^(١٣٠).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»^(١٣١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «هُمَا

(١٢٧) «الوابل الصيب من الكلم الطيب»: ص ٩٦، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ٧٥١هـ.

(١٢٨) قصر من اللؤلؤ.

(١٢٩) «صحيح البخاري»: ٣٨١٩.

(١٣٠) «صحيح البخاري»: ٣٧١٤.

(١٣١) «صحيح البخاري»: ٣٧٧٠.

رَيْحَانَتَايَ (١٣٢) - الحسن والحسين - مِنْ الدُّنْيَا (١٣٣).

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ارْقُبُوا (١٣٤) مُحَمَّدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ (١٣٥).

٦٨- «أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ»

عن ثوبان مولى رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
«إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ
أُمَّتِي سَيَلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَزْنَ
الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بَسَنَةٌ
عَامَّةٌ (١٣٦)، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ،

(١٣٢) نبات طيب الريح.

(١٣٣) «صحيح البخاري»: ٣٧٥٣.

(١٣٤) احفظوا في أهل بيته.

(١٣٥) «صحيح البخاري»: ٣٧١٣.

(١٣٦) أي: بقحطٍ أو جذب عام، بل تكون يسيرة بالنسبة إلى باقي

البلدان.

فَيَسْتَبِيحُ بَيْنَهُمْ^(١٣٧)، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أُعْطِيكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بَسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْنَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بَأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا^(١٣٨).

٦٩- من فوائد غض البصر

قال الإمام ابن القيم: في غَضِّ البصرِ عِدَّةُ فوائد: أحدها تخليص القلب من ألم الحسرة؛ فإن من أطلق نظره دامت حسرته؛ فأضرَّ شيء على القلب إرسال البصر؛ فإنه يُريه ما يشتدُّ طلبه ولا صبرَ له عنه ولا وصولَ له إليه، وذلك غايةُ ألَمه وعذابه. والنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرَّمِيَّة؛ فإن لم تقتله جرحته، وهي بمنزلة الشرارة من النار تُرمى في الحشيش اليابس؛ فإن لم يحرقه كله أحرقت بعضه.

(١٣٧) أي: يُفْنِيهِمْ وَيَقْتُلُهُمْ.

(١٣٨) «صحيح مسلم»: ٢٨٨٩.

الفائدة الثانية: أنه يورث القلب نورًا وإشراقًا يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح، كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه. ولهذا والله أعلم، ذكر الله سبحانه آية النور في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ عقيب قوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥-٣٠].

الفائدة الثالثة: أنه يورث صحة الفراسة فإنها من النور وثمراته، وإذا استنار القلب صحّت الفراسة، لأنه يصير بمنزلة المرآة المجلّوة تظهر فيها المعلومات كما هي، والنظر بمنزلة التنفّس فيها، فإذا أطلق العبد نظره تنفّست نفسه الصّعداء في مرآة قلبه فطمّست نورها.

قال شجاع الكرماني: من عمّر ظاهره باتّباع السنّة، وباطنه بدوام المراقبة، وغضّ بصره عن المحارم، وكفّ نفسه عن الشهوات، وأكل من الحلال لم تخطئ فراسته، وكان شجاع لا تخطئ له فراسة، والله ﷻ يجزي العبد على عمله بما هو من جنسه؛ فمن غضّ بصره عن المحارم عوّضه الله سبحانه وتعالى إطلاق نور بصيرته،

فلما حبس بصره الله أطلق الله نور بصيرته، ومن أطلق بصره في المحارم حبس الله عنه بصيرته.

الفائدة الرابعة: أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه، يسهل عليه أسبابه، وذلك بسبب نور القلب، فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات، وانكشفت له بسرعة، ونفذ من بعضها إلى بعض، ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه وأظلم، وانسد عليه باب العلم وطرقه.

الفائدة الخامسة: أنه يورث قوة القلب وثباته وشجاعته، فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة، وفي الأثر: إن الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله، لهذا يوجد في المتبع لهواه من ذل القلب وضعفه ومهانة النفس وحقارتها ما جعله الله لمن أثر هواه على رضاه.

وقال بعض الشيوخ: الناس يطلبون العز بأبواب الملوك، ولا يجدونه إلا في طاعة الله.

ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه، وفيه قسطٌ ونصيبٌ من فعل من

عاداه بمعاصيه، وفي دعاء القنوت: «**إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ**».

الفائدة السادسة: أنه يورث القلب سرورًا وفرحة، وانشراحًا أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، وذلك لقهره عدوه بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه، وأيضًا فإنه لما كفَّ لذته وحبس شهوته لله وفيها مسرَّةً نفسه الأمارة بالسوء أعاضه الله سبحانه مسرة ولذة أكمل منها كما قال بعضهم: «والله للذة العفة أعظم من لذة الذنب». ولا ريب أن النفس إذا خالفت هواها أعقبها ذلك فرحًا وسرورًا ولذة أكمل من لذة موافقة الهوى بما لا نسبة بينهما، وها هنا يمتاز العقل من الهوى.

الفائدة السابعة: أنه يُخلِّص القلب من أسر الشهوة؛ فإن الأسير هو أسير شهوته وهواه، فهو كما قيل: طليق برأي العين وهو أسير، ومتى أسرت الشهوة والهوى القلب تمكن منه عدوه وسامه سوء العذاب وصار:

كعصفورة في كف طفل يسومها حياض الردى والطفل يلهو ويلعب

الفائدة الثامنة: أنه يسد عنه بابًا من أبواب جهنم؛ فإن النظر باب الشهوة الحاملة على مُواقعة الفعل، وتحريمُ الرب تعالى وشرعُه حجابٌ مانعٌ من الوصول، فمتى هَتَكَ الحجابَ ضَرِيَ على المحذور.

الفائدة التاسعة: أنه يُقَوِّي عقله ويزيده ويثبته؛ فإن إطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب؛ فإن خاصة العقل ملاحظة العواقب. ومرسل النظر لو علم ما تجني عواقب نظره عليه لما أطلق بصره.

الفائدة العاشرة: أنه يُخَلِّص القلب من سُكر الشهوة ورَقدة الغفلة؛ فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة، ويوقع في سكرة العشق، كما قال الله تعالى عن عشاق الصور: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]. فالنظرة كأس من خمر، والعشق هو سكرٌ ذلك الشراب، وسكر العشق أعظم من سكر الخمر؛ فإن سكران الخمر يفيق، وسكران العشق قلما يفيق إلا وهو في عسكر الأموات، كما قيل:

سُكرانٍ سكر هوى وسكر مدامة ومتى إفاقته من به سُكران
وفوائد غرض البصر وآفات إرساله أضعاف أضعاف
ما ذكرنا، وإنما نبهنا عليه تنبيهًا، ولا سيما النظر إلى من
لم يجعل الله سبيلًا إلى قضاء الوطر منه شرعًا، كالمُردان
الحسان؛ فإن إطلاق النظر إليهم السم الناقع والداء
العُضال (١٣٩).

٧٠- اصبر في طاعة الرحمن لأجل الدين

قال ابن الجوزي: أن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال:
كنت كثيرًا أسمع والدي -أحمد بن حنبل- يقول: رحم
الله أبا الهيثم، غفر الله عن أبي الهيثم، فقلت: يا أبة من أبو
الهيثم؟ قال: ألا تعرفه؟ قلت: لا، قال: أبو الهيثم الحداد.
اليوم الذي أخرجت فيه للسياط، ومدت يداي للعقابين،
إذا أنا بإنسان يجذب ثوبي من ورائي ويقول لي: تعرفني؟

(١٣٩) «روضة المحبين ونزهة المشتاقين»: ص ٧٠-٧٥، للإمام
أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية،
متوفى ٧٥١هـ.

قلت: لا، قال: أنا أبو الهيثم العيار، اللص الطرار، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضربت ثمانية عشرة ألف سوط بالتفاريق، وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا، فاصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين. قال: فضربت ثمانية عشر سوطاً بدل ما ضرب ثمانية عشر ألفاً، وخرج الخادم فقال: عفى عنه أمير المؤمنين.

وقد ذكر إبراهيم بن محمد بن عرفة في تاريخه: أن أحمد ضرب ستة وثلاثين. وقالوا له: ادع على من ظلمك، فقال: ليس بصابر من دعا على ظالم^(١٤٠).

٧١- إذا فسد القلب فسد البدن

قال ابن القيم: والمعصية نوعان: كبائر، وصغائر. فالكبائر: كالرياء، والعجب، والكبر، والفخر، والخيلاء، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والفرح والسرور بأذى المسلمين،

(١٤٠) «مناقب أحمد بن حنبل»: ص ٢٩٤، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، متوفى ٥٩٧هـ.

والشماتة بمصيبتهم، ومحبة أن تشيع الفاحشة فيهم، وحسدهم على ما آتاهم الله من فضله، وتمني زوال ذلك عنهم، وتوابع هذه الأمور التي هي أشد تحريماً من الزنا، وشرب الخمر وغيرهما من الكبائر الظاهرة، ولا صلاح للقلب ولا للجسد إلا باجتنابها، والتوبة منها. وإلا فهو قلب فاسد، وإذا فسد القلب فسد البدن.

وهذه الآفات إنما تنشأ من الجهل بعبودية القلب، وترك القيام بها.

فوظيفة «إياك نعبد» على القلب قبل الجوارح، فإذا جهلها وترك القيام بها امتلاً بأضدادها ولا بد. وبحسب قيامه بها يتخلص من أضدادها.

وهذه الأمور ونحوها قد تكون صغائر في حقه، وقد تكون كبائر، بحسب قوتها وغلظها وخفتها ودقتها.

ومن الصغائر أيضاً: شهوة المحرمات وتمنيها، وتفاوت درجات الشهوة في الكبر والصغر، بحسب تفاوت درجات المشتهي، فشهوة الكفر والشرك: كفر، وشهوة البدعة: فسق، وشهوة الكبائر: معصية، فإن

تركها لله مع قدرته عليها أثيب. وإن تركها عجزاً عن بذله مقدورة في تحصيلها: استحق عقوبة الفاعل، لتنزله منزلته في أحكام الثواب والعقاب، وإن لم ينزل منزلته في أحكام الشرع، ولهذا قال النبي ﷺ: «إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»، قالوا: هذا القاتل يا رسول الله، فما بال المقتول؟ قال: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»^(١٤١).

فتزله منزلة القاتل، لحرصه على قتل صاحبه، في الإثم دون الحكم، وله نظائر كثيرة في الثواب والعقاب^(١٤٢).

٧٢- عظم معصية الكبر

قال شيخ الإسلام: من كان عنده كِبَرٌ أو عُجْبٌ أو رياء، فليس مطيعاً بل عاصياً ومعصية الكِبَرِ والعُجْبِ

(١٤١) «أخرجه البخاري»: ٧٠٨٣، عن أبي بكرة نفيح بن الحارث رضي الله عنه.

(١٤٢) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»:

ص ٩٧، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١ هـ.

والرياء أعظم من معصية شرب الخمر، فالشارب الخاشع الخائف من ربه، أقرب إلى رحمة ربه من الصائم المتكبر المعجب المرائي. فمن ظنَّ أن الطاعة صُور الأعمال، فهو جاهل، بل اسم الطاعة يتناول طاعة القلب بالخوف والرجاء والإخلاص لله تعالى والشكر وغير ذلك، أعظم مما يتناول طاعة البدن، كالصيام والقيام والصدقة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقد أجمع المسلمون على أن مجرد أعمال البدن، بدون عمل القلب لا يكون عبادة ولا طاعة لله، وأن كل عمل لا يُراد به وجه الله، فليس هو عبادة له وفي الصحيح «إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ إِلَّا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(١٤٣).

(١٤٣) «الرد على الشاذلي في حزيه وما صنفه في آداب الطريق»: ص ٦٥، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، متوفى ٧٢٨هـ.

٧٣- نطق ما يبغض الله ورسوله

عبوديات اللسان الخمس: فواجبها: النطق بالشهادتين، وتلاوة ما يلزمه تلاوته من القرآن. وهو ما يتوقف صحة صلاته عليه، وتلفظه بالأذكار الواجبة في الصلاة التي أمر الله بها ورسوله، كما أمر بالتسبيح في الركوع والسجود، وأمر بقول: «**رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**» بعد الاعتدال، أمر بالتشهد، وأمر بالتكبير.

ومن واجبه: رد السلام، وفي ابتدائه قولان، ومن واجبه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهل، وإرشاد الضال، وأداء الشهادة المتعينة، وصدق الحديث.

وأما مستحبه: فتلاوة القرآن ودوام ذكر الله، والمذاكرة في العلم النافع، وتوابع ذلك.

وأما محرمه: فهو النطق بكل ما يبغضه الله ورسوله، كالنطق بالبدع المخالفة لما بعث الله به رسوله، والدعاء

إليها، وتحسينها وتقويتها، وكالقذف وسب المسلم، وأذاه بكل قول، والكذب، وشهادة الزور، والقول على الله بلا علم، وهو أشدها تحريمًا.

ومكروهه: التكلم بما تركه خير من الكلام به، مع عدم العقوبة عليه.

وقد اختلف السلف: هل في حقه كلام مباح، متساوي الطرفين؟ على قولين: ذكرهما ابن المنذر وغيره. أحدهما: أنه لا يخلو كل ما يتكلم به: إما أن يكون له أو عليه، وليس في حقه شيء لا له ولا عليه.

واحتجوا بالحديث المشهور، وهو «كل كلام ابن آدم عليه لا له، إلا ما كان من ذكر الله وما والاه»^(١٤٤).

واحتجوا بأنه يكتب عليه كلامه كله. ولا يكتب إلا بالخير والشر.

(١٤٤) عن أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «كل كلام ابن آدم عليه لا له، إلا أمرٌ بمعروفٍ، أو نهْيٌ عن منكرٍ، أو ذكرُ الله»، «أخرجه الترمذي»: ٢٤١٢/٤، وقال: حديث حسن غريب.

وقالت طائفة: بل هذا الكلام مباح، لا له ولا عليه،
كما في حركات الجوارح.

قالوا: لأن كثيراً من الكلام لا يتعلق به أمر ولا نهي،
وهذا شأن المباح.

والتحقيق: أن حركة اللسان بالكلام لا تكون متساوية
الطرفين، بل إما راجحة وإما مرجوحة. لأن للسان شأنًا
ليس لسائر الجوارح، وإذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء
كلها تكفر اللسان، تقول: «اتَّقِ اللَّهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ،
فَإِنْ اسْتَقَمَّتْ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجَتْ اعْوَجَجْنَا»^(١٤٥).

وأكثر ما يكبُّ الناس على مناخرهم في النار حصائد
ألسنتهم، وكل ما يتلفظ به اللسان فإما أن يكون مما
يرضى الله ورسوله أو لا، فإن كان كذلك فهو الراجح،
وإن لم يكن كذلك فهو المرجوح. وهذا بخلاف حركات

(١٤٥) «أخرجه الترمذي»: ٢٤٠٧/٤، و«أحمد»: ٩٦/٣، من

حديث أبي سعيد الخدري، وابن خزيمة والبيهقي وهو
حديث حسن بمجموع طرقه.

سائر الجوارح، فإن صاحبها ينتفع بتحريكها في المباح المستوي الطرفين، لما له في ذلك من الراحة والمنفعة، فأبيح له استعمالها فيما فيه منفعة له، ولا مضرة عليه فيه في الآخرة، وأما حركة اللسان بما لا ينتفع به فلا يكون إلا مضرة، فتأمل^(١٤٦).

٧٤- ابتلاء بالكبر

قال شيخ الإسلام: وكثير من المتسبين إلى العلم يُبتلى بالكبر، كما يُبتلى كثيرٌ من أهل العبادة بالشرك، ولهذا فإن آفة العلم الكبر وآفة العبادة الرياء، وهؤلاء يُحرمون حقيقة العلم، كما قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

قال أبو قلابة: منع قلوبهم فهم القرآن ولهذا كان الكبر كثيرًا في اليهود وأشباه اليهود، الذين يعلمون الحقَّ

(١٤٦) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»:

ص ٩٨-١٠٠، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن

قيم الجوزية، متوفى ٧٥١ هـ.

ولا يتبعونه، والشرك كثير في النصارى وأشباه النصارى،
الذين يعملون ويعبدون بغير علم، والمهتدون هم الذين
يعلمون الحق ويعملون به، كما قال تعالى: ﴿اهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمُغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة ٦-٧].

وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «اليهود مغضوبٌ
عليهم والنصارى ضالُّون»، ولا يحصل اتباع الصراط
المستقيم إلا بالعلم الواجب والعمل اللذين يُتَّبَعُ فيهما
رسول الله ﷺ.

فلا بدَّ من عِلْمٍ ولا بدَّ من عمل، وأن يكون كلاهما
موافقاً لما جاء به الرسول فيجب العلم والعمل والاعتصام
بالكتاب والسنة، ولهذا قال من قال من السلف: الدين
قولٌ وعملٌ وموافقة السُّنَّة، ولفظ بعضهم: لا ينفع قولٌ
إلا بعمل، ولا ينفع قولٌ وعملٌ إلا بمتابعة السُّنَّة، وقد قال
تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾
[فاطر: ١٠].

ولهذا كان مذهب الصحابة وجماهير السلف من التابعين لهم بإحسان وعلماء المسلمين: أن الإيمان قولٌ وعمل أي قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح. وأما من صدّق بقلبه الرسول، وعرف أن ما جاء به حقٌّ، مع أنه يبغضه ويستكبر عن عبادة الله وطاعته، كإبليس وفرعون والنمرود واليهود، فهذا من أعظم الكافرين كفرًا (١٤٧).

٧٥- لا تصحب خمسة

قال جعفر الصادق: لا تصحب خمسة: الكذاب، فإنك منه على غرور، وهو مثل السراب، يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب، والأحمق، فإنك لست منه على شيء، يريد أن ينفعك فيضرك، والبخيل، فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه، والجبان، فإنه يسلمك ونفسه

(١٤٧) «الرد على الشاذلي في حزيه وما صنفه في آداب الطريق»:

ص ٢٠٧، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، متوفى ٧٢٨هـ.

عند الشدائد، والفاسق، فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها،
وقيل: وما أقل منها؟ قال: الطمع فيها ثم لا ينالها^(١٤٨).

وقال ابن القيم: آفة العبد رضاه عن نفسه، ومن نظر
إلى نفسه باستحسان شيء منها فقد أهلكها، ومن لم يتهم
نفسه على دوام الأوقات فهو مغرور^(١٤٩).

٧٦- ترك لما لا يعينك

قال ابن القيم رحمه الله: وقد جمع النبي ﷺ الورع كله
في كلمة واحدة. فقال: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا**
يَعِينُهُ»^(١٥٠) فهذا يعم الترك لما لا يعين من الكلام، والنظر،

(١٤٨) «منهاج القاصدين ومفيد الصادقين»: ٣٩٢/١، للإمام
الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن
الجوزي، متوفى ٥٩٧ هـ.

(١٤٩) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»:
ص ٧١، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم
الجوزية، متوفى ٧٥١ هـ.

(١٥٠) «أخرجه ابن ماجه»: ٣٩٧٦، و«صححه الترمذي»: ٢٣١٧،
و«ابن حبان»: ٢٢٩.

والاستماع، والبطش، والمشى، والفكر، وسائر الحركات
الظاهرة والباطنة، فهذه الكلمة كافية شافية في الورع^(١٥١).
وروى أبو عبيدة عن الحسن قال: من علامة إعراض
الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه.
وقال سهل التُّستري: من تكلم فيما لا يعنيه حُرِمَ الصدق.
وقال معروف: كلام العبد فيما لا يعنيه، خذلان
من الله ﷻ^(١٥٢).

٧٧- تدهورٌ وبعْدٌ عن الدين

كشف الحافظ أبو عبد الله الذهبي عن حال المجتمع
الإسلامي فيما وصل إليه من التدهور والبعْد عن الدين

(١٥١) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»:
ص ٢٦٥، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم
الجوزية، متوفى ٧٥١ هـ.
(١٥٢) «جامع العلوم والحكم»: ص ٣١٦-٣١٧، تأليف: زين
الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن
رجب الحنبلي البغدادي، ٧٩٥ هـ.

وما بلغ به العدو، فقال: لما قتل الأمين، واستخلف المأمون على رأس المائتين نجم التشيع، وأبدى صفحته، وبرز فجر الكلام، وعربت حكمة -كتب- الأوائل ومنطق اليونان، وعمل رصد الكواكب، ونشأ للناس علم جديد مُردٍّ مهلك، لا يلائم علم النبوة، ولا يوافق توحيد المؤمنين، قد كانت الأمة منه في عافية، وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة، وحمل المأمون المسلمين على القول بخلق القرآن، ودعاهم إليه، وامتنح العلماء، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

إن من البلاء أن تعرف ما كنت تنكر، وتنكر ما كنت تعرف، وتقدم عقول الفلاسفة، ويعزل منقول أتباع الرسل، ويمارى في القرآن، ويتبرم بالسنن والآثار، وتقع في الحيرة، فالفرار قبل حلول الدمار، وإياك ومضلات الأهواء، ومجارة العقول، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم^(١٥٣).

(١٥٣) (تذكرة الحفاظ: ١/ ٢٤٠، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، متوفى ٧٤٨هـ).

وقال المقرئزي: وقد كان المأمون عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس ببغداد، لما شُغِفَ بالعلوم القديمة، بعث إلى بلاد الروم من عَرَبَ له كتب الفلاسفة، وأتاه بها في أعوام بضع عشرة ومائتين من سني الهجرة، فانتشرت مذاهب الفلاسفة في الناس، واشتهرت كتبهم بعامة الأمصار، وأقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها، وأكثروا من النظر فيها والتصفح لها، فانجرَّ على الإسلام وأهله من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من البلاء والمحنة في الدين، وعظم بالفلاسفة ضلال أهل البدع، وزادتهم كفرًا إلى كفرهم.

فلما قامت دولة بني بويه ببغداد في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة واستمرّوا إلى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، وأظهروا مذهب التشيع، قويت بهم الشيعة وكتبوا على أبواب المساجد في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة: لعن الله معاوية بن أبي سفيان، ولعن من أغضب فاطمة، ومن منع الحسن أن يدفن عند جدّه، ومن نفى أبا ذر الغفاريّ،

ومن أخرج العباس من الشورى (١٥٤).

٢٨- رحم الله امرأً أقبل على شأنه

قال الذهبي رحمه الله: لقد تفانى أصحاب الحديث وتلاشوا، وتبدل الناس بطلبة يهزأ بهم أعداء الحديث والسنة ويسخرون منهم، وصار علماء العصر في الغالب عاكفين على التقليد في الفروع، من غير تحرير لها، ومكبين على عقليات من حكمة الأوائل وآراء المتكلمين من غير أن يتعقلوا أكثرها، فعمّ البلاء واستحكمت الأهواء ولاحت مبادئ رفع العلم وقبضه من الناس، فرحم الله امرأً أقبل على شأنه، وقصّر من لسانه، وأقبل على تلاوة قرآنه، وبكى على زمانه، وأدمن النظر في الصحيحين، وعبد الله قبل أن ييغته الأجل، اللهم فوق وارحم (١٥٥).

(١٥٤) «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»: ٤ / ١٩١، تأليف:

تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العييدي المقرزي، متوفى ٨٤٥ هـ.

(١٥٥) «تذكرة الحفاظ»: ٢ / ٥٣٠، للإمام شمس الدين محمد بن

أحمد بن عثمان الذهبي، متوفى ٧٤٨ هـ.

وقال ابن تيمية: فالسنة مثال سفينة نوح: من ركبها،
نجا. ومن تخلف عنها، غرق.

قال الزهري: كان من مضى من علمائنا، يقولون:
الاعتصام بالسنة نجاة^(١٥٦).

٧٩- قراء بالروايات

قال الذهبي: فالقراء المجودة: فيهم تنطع وتحريرو
زائد يؤدي إلى أن المجود القارئ يبقى مصروف الهمة
إلى مراعاة الحروف، والتنطع في تجويدها بحيث يشغله
ذلك عن تدبر معاني كتاب الله تعالى، ويصرفه عن الخشوع
في التلاوة لله ويخليه قوي النفس مزدريًا [بحفاظ] كتاب
الله تعالى. فينظر إليهم بعين المقت [وأن] المسلمين
يلحنون، وبأن القراء لا يحفظون إلا شواذ [القراءة]،
فليت شعري أنت ماذا عرفت؟! وما علمك، وأما عملك

(١٥٦) «مجموع الفتاوى»: ٢٢/ ١٨٣، لشيخ الإسلام تقي الدين
أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية
الحراني، متوفى ٧٢٨هـ.

غير صالح، وأما تلاوتك فثقيلة عريّة عن الخشية والحزن والخوف، فالله يوفقك، ويبصرك رشداً، ويوقظك من رقدة الجهل والرياء.

و ضدُّهم قراء النغم والتمطيط، وهؤلاء في الجملة من قرأ منهم بقلب وخوف قد ينتفع به في الجملة، فقد رأيت من يقرأ صحيحاً ويضطرب ويبكي.

نعم ورأيت من إذا قرأ قسى القلوب وأبرم النفوس. وبدل كلام الله تعالى، أسوؤهم حالاً الجنائزية، والقراء بالروايات، وبالجمع فأبعد شيء عن الخشوع، وأقدم شيء على التلاوة بما يخرج عن القصد، وشعارهم في تكثير وجوه حمزة (١٥٧)، وتغليظ تلك اللامات وترقيق الرّاءات.

(١٥٧) حمزة بن حبيب الزيات: شيخ القراء وأحد السبعة الأئمة. قال المصنف في (سير أعلام النبلاء، ٧ / ٩١): (كره طائفة من العلماء قراءة حمزة لما فيها من السكت، وفرط المد، واتباع الرسم الإضجاع، وأشياء، ثم استقر اليوم الاتفاق على قبولها، وبعض كان حمزة لا يراه) اهـ، انظر (المغني لابن قدامة)، ١ / ٤٩٣، طبقات القراء: ١ / ٩٣-٩٩.

اقرأ يا رجل واعفنا من التغليظ والترقيق [وفرط] الإمالة، والمدود ووقوف حمزة [فإ] لى كم هذا؟ وآخر منهم إن حضر في ختمة أو تلا في محراب جعل ديدنه إحضار غرائب الوجوه والسكت، والتهوع بالتسهيل، وأتى بكل خلاف ونادى على نفسه أنا (أبو فلان) فاعرفوني فإني عارفٌ [بالسبع] إيش يُعمل بك؟ لا صبحك الله بخير إنك حجر منجنيق ورصاص على الأفئدة (١٥٨).

٨- أنا أم المؤمنين

قال تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: أنها ذكّرت عند رجل، فسبّها - الطاهرة الذكية - فقيل: أتسب أمك؟! قال: ما هي بأمي.

(١٥٨) «زغل العلم»: ص ٢٥-٢٦، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، متوفى ٧٤٨ هـ.

فبلغها - عائشة رضي الله عنها -، فقالت: صدق؛ أنا أم المؤمنين، فأما الكافرون فلست لهم بأم ^(١٥٩).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كَمَلْ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرِيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ» ^(١٦٠).

وعن الإمام أحمد أنه قال: من سب عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أو رماها بما قد برأها الله منه فهو كافر، وكان يقرأ: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التور: ١٧] ^(١٦١).

(١٥٩) «أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم»: ص ١٤٣٦، للشيخ الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي. رواه الآجُرِّي في كتاب الشريعة، ١٩٠٨ و ١٩٦٨.

(١٦٠) «صحيح البخاري»: ٣٧٦٩.

(١٦١) «الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم»: ١٠٥٠/٢، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، متوفى ٧٢٨هـ.

٨١ - «وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النِّسَاء: ١٩].

قال ابن كثير: أي: طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٨]، وقال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين ﷺ يتودد إليها بذلك. قالت: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقتها بعد ما حملت اللحم فسبقني، فقال: «هذه بتلك»^(١٦٢)، ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله ﷺ، فيأكل معهن العشاء في

(١٦٢) «أخرجه أبو داود»: ٢٥٧٨، و«أحمد»: ٢٤١١٨، باختلاف

يسير، و«ابن ماجه»: ١٩٧٩، مختصراً.

بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها. وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد، يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام، يؤانسهم بذلك ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] (١٦٣).

٨٢- سيرة الصحابي الجليل أبي هريرة

الدوسي اليماني ﷺ

هو الإمام الحافظ، المقرئ الفقيه صاحب رسول الله ﷺ، العابد، الزاهد، سيد الحفاظ الأثبات.

اسمه وكنيته، قال عنه الذهبي: كان اسمه في الجاهلية عبد شمس، وقال: كُنَّا نَبِيَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، لأنِّي كُنْتُ أُرْعَى غَنَمًا فَوُجِدْتُ أَوْلَادَ هَرَّةٍ وَحَشِيَّةٍ، فَلَمَّا أَبْصَرْتَنِي وَسَمِعَ

(١٦٣) «تفسير القرآن العظيم»: ٤٠٠/٣، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ٧٧٤هـ.

أصواتهن أخبرته، فقال: أنت أبو هرّ وكان اسمي عبد شمس.

قدم أبو هريرة مهاجرًا ليالي فتح خيبر، حفظ عن النبي ﷺ الكثير، وعن أبي بكر وعمر وأبي بن كعب (١٦٤).

يروي أبو هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَقُولُونَ: أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَإِنِّي كُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشَبَعِ بَطْنِي حَتَّى لَا أَكُلُ الْخَمِيرَ وَلَا أَلْبَسُ الْحَبِيرَ، وَلَا يَخْدُمُنِي فُلَانٌ وَلَا فُلَانَةٌ، وَكُنْتُ أَلْصِقُ بَطْنِي بِالْحَصْبَاءِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَا سْتَقْرِي الرَّجُلَ الْآيَةَ، هِيَ مَعِيَ؛ كَيْ يَنْقَلِبَ بِي فَيُطْعِمَنِي، وَكَانَ أَخِيرَ النَّاسِ لِلْمُسْكِينِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؛ كَانَ يَنْقَلِبُ بِنَا فَيُطْعِمُنَا مَا كَانَ فِي بَيْتِهِ، حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُخْرِجُ إِلَيْنَا الْعُكَّةَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ، فَنَشُقُّهَا فَنَلْعَقُ مَا فِيهَا (١٦٥).

(١٦٤) «تذكرة الحفاظ»: ٢٨/١، للإمام شمس الدين محمد بن

أحمد بن عثمان الذهبي، متوفى ٧٤٨ هـ.

(١٦٥) «رواه البخاري»: ٣٧٠٨.

قال: لَمَّا قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قُلْتُ فِي الطَّرِيقِ:

يَا لَيْلَةً مِنْ طَوْلِهَا وَعَنَائِهَا عَلَى أَنَّهَا مِنْ دَارَةِ الْكُفْرِ نَجَّتْ

وَأَبَقَ غُلَامٌ لِي فِي الطَّرِيقِ، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَبَايَعْتُهُ، فَبَيْنَا أَنَا عِنْدَهُ إِذْ طَلَعَ الْغُلَامُ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ هَذَا غُلَامُكَ؟ فَقُلْتُ: هُوَ لَوَجْهِ اللَّهِ، فَأَعْتَقْتُهُ (١٦٦).

نشأ يتيماً، وهاجر مسكيناً. يحكي التابعي أبو كثير السُّحَيْمِيُّ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا خَلَقَ اللَّهُ مُؤْمِنًا يَسْمَعُ بِي إِلَّا أَحَبَّنِي. قُلْتُ: وَمَا عَلِمَكَ بِذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّ أُمَّيْ كَانَتْ مُشْرِكَةً وَكُنْتُ أَدْعُوهَا إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَانَتْ تَأْتِي عَلَيَّ فِدَعُوتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعْتَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ فَأَتَيْتُهُ أَبْكِي وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهَا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ»، فَخَرَجْتُ أَدْعُو أَبَشْرُهَا فَأَتَيْتُ فَإِذَا الْبَابُ مُجَافٍ وَسَمِعْتُ خُضْخُضَةَ الْمَاءِ وَسَمِعْتُ حَسِّي، فَقَالَتْ: كَمَا أَنْتَ ثُمَّ فَتَحَتْ وَقَدْ لَبَسَتْ دَرْعَهَا وَعَجَّلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَقَالَتْ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ

ورسوله، فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ أبكي من الفرح، فأخبرتهُ فقلتُ: ادعُ الله يا رسول الله أن يحبَّني وأمِّي إلى عباده المؤمنين، فقال: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَبِّبْهُمْ إِلَيْهِمَا» (١٦٧).

وصبر أبي هريرة على طلب العلم وملازمة النبي ﷺ. قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر: كان من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ، وكان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين والأنصار، لاشتغال المهاجرين بالتجارة والأنصار بحوائجهم.

قال الذهبي: أبو هريرة: الإمام الفقيه المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ أبو هريرة الدوسي اليماني رضي الله عنه، سيّد الحفاظ الأثبات.

وقال أيضًا: بل احتج المسلمون قديمًا وحديثًا بحديثه، لحفظه وجلالته، وإتقانه وفقهه، وناهيك أن مثل

(١٦٧) «تاريخ الإسلام»: ٣٥١ / ٤، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، متوفى ٧٤٨هـ.

ابن عباس يتأدب معه، ويقول: أفت يا أبا هريرة؟ (١٦٨).

٨٣- «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تَكْذِبُواهُمْ»

روى أبو هريرة عن كعب الأحبار بعض أخبار بني إسرائيل، مما أذن النبي ﷺ للمسلمين في ذلك.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تَكْذِبُواهُمْ»، وقولوا: «أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» [البقرة: ١٣٦] الآية (١٦٩).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: «بَلِّغُوا

(١٦٨) «مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه» من مُسْنَدِ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهُوِيَه: ١ / ٤٥،

لِلْإِمَامِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَخْلَدٍ الْحَنْظَلِيِّ الْمُرُوزِيِّ،

٢٣٨هـ.

(١٦٩) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: ٤٤٨٥.

عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (١٧٠).

٨٤ - «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟»

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لَمَّا فُتِحَتْ حَيْبَرُ أُهْدِيَتْ
لِلنَّبِيِّ ﷺ شَاةٌ فِيهَا سُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اجْمِعُوا إِلَيَّ مَنْ
كَانَ هَاهُنَا مِنْ يَهُودَ». فَجَمِعُوا لَهُ، فَقَالَ: «إِنِّي سَأَلْتُكُمْ
عَنْ شَيْءٍ؛ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْهُ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ. قَالَ لَهُمُ
النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَبُوكُمْ؟» قَالُوا: فَلَانٌ. فَقَالَ: «كَذَبْتُمْ، بَلْ
أَبُوكُمْ فُلَانٌ». قَالُوا: صَدَقْتَ. قَالَ: «فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ
شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَا
عَرَفْتَ كَذَبْنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَيْنَا. فَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟»
قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا، ثُمَّ نَخْلُفُونَ فِيهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«اخْسَؤُوا فِيهَا، وَاللَّهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا». ثُمَّ قَالَ: «هَلْ

أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ
يَا أَبَا الْقَاسِمِ. قَالَ: «هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟» قَالُوا:
نَعَمْ. قَالَ: «مَا حَمَلَكُمُ عَلَى ذَلِكَ؟» قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ
كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ (١٧١).

فتح رسول الله ﷺ وأصحابه خير قرية يسكنها اليهود،
تبعد عن المدينة المنورة (١٥٣ كم) من جهة الشمال، كان
اليهود يناصرون العداء للنبي ﷺ، فقد حاولوا قتله ﷺ في
المدينة عدة مرات.

عندما فتح الله عليهم خيبر سنة سبع من الهجرة، ازداد
حقدهم على النبي ﷺ، فقد أهدت امرأة سلام بن مشكم
وهي زينب بنت الحارث الرسول ﷺ شاة مصلية مسمومة،
أي جعلت في طبختها سمًا، وكانت سألت: أي عضو من
الشاة أحب إلى الرسول؟ قيل لها: الذراع. فأكرت فيها من
السم، فلما تناول الذراع لآك منها مضغعة في فيه، ولم يبلغها،
لكن بشر بن البراء بن معرور رضي الله عنه أكل منها لقمة، وأخبر
الرسول ﷺ بحاله، فأمر أصحابه بالإمساك عن الأكل.

عند ذلك أَمَرَ ﷺ بِجَمْعِ مَنْ كَانَ حَاضِرًا مِنَ الْيَهُودِ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ، وَهُمْ الَّذِينَ يُشْتَبِهُ بِهِمْ فِي وَضْعِ السُّمِّ، فَقَالَ لَهُمْ ﷺ: «إِنِّي سَأِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ؛ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْهُ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ أَبُوكُمْ؟» فَقَالُوا: فُلَانٌ، لِرَجُلٍ لَيْسَ أَبَاهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ ﷺ: «كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ» وَهُوَ نَبِيُّ اللَّهِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالُوا: صَدَقْتَ. فَقَالَ لَهُمْ ﷺ: «فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذِبَنَا، كَمَا عَرَفْتَهُ فِي آيِنَا. فَقَالَ لَهُمْ ﷺ: «مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟» فَقَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا، ثُمَّ تَخْلُقُونَا فِيهَا، أَي: يَدْخُلُ الْمُسْلِمُونَ النَّارَ بَعْدَ أَنْ يُخْرَجَ مِنْهَا الْيَهُودُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اخْسَوْا فِيهَا، وَاللَّهِ لَا نَخْلُقُكُمْ فِيهَا أَبَدًا»، أَي: كُفُّوا عَنْ هَذِهِ الدَّعْوَى الْكَاذِبَةِ الْبَاطِلَةِ لِاشْكٍ فِيهَا؛ فَلَيْسَ عِنْدَكُمْ عَهْدٌ مِنَ اللَّهِ بِأَنْ تَبْقُوا أَيَّامًا مَعْدُودَةً فِي النَّارِ، فَأَنْتُمْ أَهْلُ الذُّلِّ وَالْهَوَانِ، وَإِلَى بَيْتِ الْمَصِيرِ.

قال رب العزة: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠].

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتَكُمْ عَنْهُ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ: «هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟» قَالُوا: نَعَمْ. فَسَأَلَهُمْ عَمَّا حَمَلَهُمْ عَلَى وَضْعِ السُّمِّ، فَقَالُوا: أَرَدْنَا أَنْ نَتَأَكَّدَ مِنْ بُبُوتِكَ؛ فَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا تَمُوتُ بِذَلِكَ السُّمِّ، فَنَسْتَرِيحُ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا صَادِقًا فِي بُبُوتِكَ لَا يَضُرُّكَ ذَلِكَ السُّمُّ.

وكل هذا من خبث اليهود وغدرهم وكذبهم وسوء معاملتهم للأنبياء، فقد كان كفرهم كفر عناد واستعلاء، لكن رسول الله ﷺ نجا منهم، بعد أن عصمه الله حتى يبلغ الدعوة للعالمين.

أما غيره فقد ماتوا من أثر السم، فقد أكل معه ﷺ بشر ابن البراء من تلك الشاة فتوفي، فقتلت المرأة التي تعمدت وضع السم، كما تدل عليه بعض الروايات.

٨٥- ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾

قال الله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ
أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ
لِيََأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا
لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٠-٢٢].

قال ابن باديس: طلب سليمان عليه السلام معرفة ما غاب
عنه من أحوال الطير فلم ير الهدهد، وأخذ يتساءل فظن
أن شيئاً ستره عنه فلم يره، ولما لم يكن شيء من ذلك،
ظن أنه كان غائباً غير حاضر، وذلك هو الظن الأخير
الذي حصل به اليقين.

[تعليم وقدوة] من حق الرعية على راعيها أن يتفقدوها،
ويتعرف أحوالها؛ إذ هو مسؤول عن الجليل والدقيق منها.
يباشر بنفسه ما استطاع مباشرته منها، ويضع الوسائل
التي تطلعه على ما غاب عليه منها.

وينيط بأهل الخبرة والمقدرة والأمانة تفقد أحوالها
حتى تكون أحوال كل ناحية معروفة مباشرة لمن كلف بها.

فهذا سليمان على عظمة ملكه واتساع جيشه وكثرة أتباعه، قد تولى التفقد بنفسه، ولم يهمل أمر الهدهد على صغره وصغر مكانه.

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لو أن سخلة (ولد الضأن والمعز ساعة يولد) بشاطئ الفرات يأخذها الذئب ليسأل عنها عمر.

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾، قدم التعذيب لأنه أشد من القتل، وحالة الغضب تقتضي تقديم الأشد. يقسم سليمان على معاقبة الهدهد- وقد تحقق غيبته- بالتعذيب أو بالذبح، ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، إذا لم يأت به بالحجة التي تبين عذره في تلك الغيبة، ولا يستثني للعفو ولا يجعل سبباً لسلامته من العقوبة إلاّ الحجة.

وهذا التفقد والتعرف هو على كل راع في الأمم والجماعات والأسر والرفاق وكل من كانت له رعية.

ابتدأ الهدهد جوابه معترّاً بما أحاط به من العلم، متجملًا بما حصل منه، معترّاً لارتفاع منزلته به، متحصناً به من العقاب.

ولم تمنعه عظمة سليمان عليه السلام من إظهار علمه وإعلان اختصاصه به دون سليمان.

وقال: إذ قد يكونُ في أصغرِ مخلوقاتِ الله وأحقَرِها مَنْ يُحِيطُ علماً بما لم يُحِطْ مثْلُ سليمان عليه السلام في علمه وحكمته، واتِّساعِ مُدركاتِه.

وكفى بِمِثْلِ هذا زاجراً لكُلِّ ذي علمٍ عن الإعجابِ بعلمه، والاعتزازِ بِسَعَةِ اطلّاعِه، والترفُّعِ عن الاستفادة ممَّنْ دونه (١٧٢).

٨٦- (فِطْنَةُ عَمْرٍو رضي الله عنه)

عن أسلم عن أبيه قال: «قَدِمَت على عمر بن الخطاب حُلَّةٌ من اليمن فقَسَمَها بين النَّاسِ، فرأى فيها حُلَّةً رديئةً، فقال: كيف أصنع بهذه، إذا أعطيتها أحداً لم يقبلها إذا رأى هذا العيب فيها؟ قال: فأخذها فطواها، فجعلها تحت

(١٧٢) «تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير»:

ص ٢٧١، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت

١٣٥٩هـ).

مجلسه، وأخرج طرفها، ووضع الحُلل بين يديه، فجعل يقسم بين النَّاس، قال: فدخل الزُّبير بن العَوَّام، وهو على تلك الحال، قال: فجعل ينظر إلى تلك الحَلَّة، فقال له: ما هذه الحَلَّة؟ قال عمر: دع هذه عنك. قال: ما هيه ما هيه ما شأنها؟ قال: دعها عنك. قال: فأعطينها. قال: إِنَّكَ لَا تَرْضَاهَا. قال: بلى، قد رضىتها. فلمَّا توثق منه، واشترط عليه أن يقبلها ولا يردّها رمى بها إليه، فلمَّا أخذها الزُّبير ونظر إليها، إذا هي رديئة، فقال: لا أريدها. فقال عمر: هيهات، قد فرغت منها، فأجازها عليه، وأبى أن يقبلها منه» (١٧٣).

٨٧- (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التَّحْرِيم: ١].

قال السعدي: هذا عتاب من الله لنبيه محمد ﷺ، حين حرم على نفسه سريره «مارية» أو شرب العسل، مراعاة

(١٧٣) «الأذكياء»: ص ١٣، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي البغدادي المعروف بابن الجوزي، متوفى ٧٩٥ هـ.

لخاطر بعض زوجاته، في قصة معروفة، فأنزل الله [تعالى] هذه الآيات ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ أي: يا أيها الذي أنعم الله عليه بالنبوة والوحي والرسالة ﴿لَمْ تُحَرِّمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ من الطيبات، التي أنعم الله بها عليك وعلى أمتك ﴿تَبْتَغِي﴾ بذلك التحريم ﴿مَرْضَاتٍ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ هذا تصريح بأن الله قد غفر لرسوله، ورفع عنه اللوم، ورحمه، وصار ذلك التحريم الصادر منه، سبباً لشرع حكم عام لجميع الأمة، فقال تعالى حاكماً حكماً عاماً في جميع الأيمان (١٧٤).

كان النبي ﷺ يشدد عليه وجود رائحة كريهة فيه، كما صرح له بذلك بعض أزواجه، كره على نفسه العسل لوجود الرائحة فيه، فلم يقصد فيه رضا أزواجه، وإنما اشتد عليه أن يوجد منه ريح سيئ، لأنه يناجي ربه ويأتيه الملك ويناجي الملائكة.

(١٧٤) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»: ص ٨٧٢، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، متوفى ١٣٧٦ هـ.

وما قاله الزمخشري: (كان هذا زلة منه، لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله) (١٧٥)، وصفه صلى الله عليه وسلم بزلة، قلة أدب وجراءة على منصب النبوة ومكانته الرفيعة، وإنما وقع العتاب على تضييقه عليه السلام على نفسه، وعتابه في ذلك إنما كان كرامة له.

٨٨- أَحَبُّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خَيْلًا قَبْلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بَرَجُلٌ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدٌ؛ إِنْ تَقَتَّلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: «مَا

عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: **«أُطْلِقُوا ثُمَامَةَ»**. فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاعْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ، قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ! قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا وَاللَّهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ (١٧٦).

أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ فُرْسَانًا بِقِيَادَةِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْعَاشِرِ مِنْ مُحَرَّمِ سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَى نَاحِيَةِ نَجْدٍ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْمَرْتَفَعَةُ مِنْ تِهَامَةِ إِلَى الْعِرَاقِ، لِيُقَاتِلُوا

أحياء بني بكر الذين منهم بنو حنيفة قبيلة كبيرة كانت تسكن اليمامة ومنها مسيلمة الكذاب، فأغاروا عليهم، وأسروا رجلاً يقال له: ثمامة بن أثال، وهو سيد قومه في ذلك الوقت، فربطوه بإحدى سواري المسجد النبوي حيث تقام الصلوات، لأن رسول الله ﷺ أحب أن يسمع القرآن والمواعظ والخطب.

فخرج إليه النبي ﷺ، فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» أي: ما تظنه أنني فاعل بك؟ فقال ثمامة: «عندي خير يا محمد»، يعني: لست من الذين يظلمون الناس؛ بل أعفو ويصفح، وإن تقتلني تقتل صاحب دم، أي: رجل وراءه من يطالب بدمه؛ وإن تُنعم وتُمن وتُحسن بلا فداء تُنعم على شاكر؛ لأنك تُنعم على كريم معروف لأهله، وإن كنت تريد الفداء والمال، فاطلب ما شئت من المال فعندي كثير.

لقد مكث ثمامة في المسجد ثلاثة أيام على حاله مربوطاً في السارية، وفي اليوم الثالث، قال ﷺ لأصحابه **«أطلقوا ثمامة»**، لأن الشرع يحث على العفو عند المقدرة، أي:

اتَّركوا ثَمَامَةَ من غير شروط ولا قيود ولا فداء أو امتنان، ففكُّوه، فكان ﷺ خبيرًا بالرجال ومعادنهم.

انطلق ثَمَامَةُ نحو بستان من بساتين المدينة، فاغتسل وعاد وقد ألقى أوساخ جسده وقاذورات الكفر والشرك من اعتقاده، ثمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فقال: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فالإسلام ليس مجرد كلمة وإنما تغيير، فقال: (يا مُحَمَّدُ، والله ما كان على الأرضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، والله ما كان مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ دِينٍ إِلَيَّ، والله ما كان مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ)، وهذا حاله بعدَ هدايةِ الله ﷻ له إلى الإسلام؛ فقد انقلبتِ الْعَدَاوَةُ إِلَى الصَّدَاقَةِ، والبُغْضُ إِلَى المَحَبَّةِ.

ثمَّ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ خَارِجًا لِيَعْتَمَرَ عِنْدَمَا أُسْرَهُ الصَّحَابَةُ، فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وللعمرِ طعم جديد بعد الإسلام، فلمَّا جَاءَ إِلَى مَكَّةَ، هَدَدَهُ أَهْلُ مَكَّةَ، قَالَ لَهُ

قائل: صَبُوت! يَعْنِي: تَرَكْتَ دِينَكَ وَمِلَّتَكَ، فَقَالَ ثُمَامَةُ: لا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاتَّبَعْتُهُ عَلَى دِينِ الْحَقِّ؛ ثُمَّ أَقْسَمَ ثُمَامَةُ بِاللَّهِ وَهَدَّدَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ أَنَّهُ لَنْ تَأْتِيَهُمْ حَبَّةُ قَمْحٍ، فَقَدْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ مَصْدَرِ قُوتِ الْقَمْحِ، وَنَفَذَ ثُمَامَةُ وَعِيدَهُ، حَتَّى يَأْذَنَ وَيَأْمُرَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُرْسَلَ إِلَيْهِمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ يَنَاشِدُونَهُ أَنْ يَخْبَرَ ثُمَامَةَ كَيْ يَأْذَنَ بِإِرْسَالِ الْقَمْحِ لَهُمْ، وَعِنْدَمَا أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ اسْتَجَابَ، وَبَقِيَ فِي عَشِيرَتِهِ وَنَفَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ كَانَ سَيِّدًا فِيهِمْ، فَعَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ النَّاسَ مُعَادِنٌ يَخْرُجُ مِنْهُمْ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ، فَخَرَجَ مِنَ الْخَيْرِ ثُمَامَةُ وَمِنَ الشَّرِّ مَسِيلَةُ الْكَذَابِ.

٨٩- هَاتِي يَدَكَ أَبَايُغَكَ عَلَى الْإِسْلَامِ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنْوَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنَ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ، لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ: فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَرْقِي مِنَ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللَّهَ

يَشْفِي عَلَى يَدَيَّ مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ»، قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغَنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ، قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَعَلَى قَوْمِكَ؟» قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي، قَالَ: فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً، فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً، فَقَالَ: رُدُّوهَا؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ ضِمَادٌ (١٧٧).

قدم ضِمَادُ بْنُ ثَعْلَبَةَ - وهو من أَزْدِ شَنْوَةَ، وهي قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْيَمَنِ - إِلَى مَكَّةَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ

مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ، وكان صديقًا للنَّبِيِّ ﷺ في الجاهلية (وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ) أي: يتعاطى الطب ويرقي من الجنون ومسّ الجنّ فيُسْمُونَهَا الرِّيحَ، وأنه جَرَّبَ ذلك، والرقية هي: التَّعاوِذُ.

سَمِعَ ضِمَادٌ سُفْهَاءَ أَهْلِ مَكَّةَ وَجُهَاثَهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ، يقولون: «إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فقال: لو أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ» لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ، فَلَقِيَ ضِمَادَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ ضِمَادٌ أَنَّهُ يَرْقِي مِنَ الْمَسِّ وَمِنَ الْجُنُونِ، وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا لِلشِّفَاءِ مِنْ بَعْضِ الْأَمْرَاضِ.

عندما سمع ضِمَادُ النَّبِيِّ ﷺ، قال: «لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكُهَنَةِ» وهو الْمُخْبِرُ عَنِ الْغَيْبِ، «وَقَوْلَ السَّحَرَةِ وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ» ذَكَرَ الثَّلَاثَةَ لِأَنَّ سُفْهَاءَ مَكَّةَ يَقُولُونَ لَهُ ﷺ مَرَّةً: كَاهِنٌ، وَمَرَّةً: سَاحِرٌ، وَمَرَّةً: شَاعِرٌ، فَفَنَى عَنْهُ الثَّلَاثَةَ الَّتِي يَقُولُونَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ ضِمَادٌ: «وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ» الْكَلِمَاتُ الْجَامِعَاتُ نَطَقَتْ بِهِنَّ غَايَةَ الْفَصَاحَةِ وَنَهَايَةَ الْبَلَاغَةِ.

فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أَتَبِيعُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ،
ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَعَلَى قَوْمِكَ؟»، أَي: تُبَايِعُ
بِالْإِسْلَامِ نِيَابَةً عَنْ قَوْمِكَ الَّذِينَ هُمْ فِي بِلَادِكَ، فَقَالَ ضِمَادُ:
«وَعَلَى قَوْمِي» فَبَايَعَ عَلَى الْإِسْلَامِ لِنَفْسِهِ وَلِقَوْمِهِ.

مَرَّتْ سَرِيَّةٌ عَلَى قَوْمِ ضِمَادِ بْنِ ثَعْلَبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَعْدَ الْهَجْرَةِ
إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ -أَي: قَائِدُ- لِلجَيْشِ: «هَلْ
أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ
مِطْهَرَةً فَقَالَ: رُدُّوْهَا فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمُ ضِمَادٍ» أَي: بَايَعُوا عَلَى
الْإِسْلَامِ، فَلَا يَجُوزُ أَخْذُ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ.

٩٠- «أَتَرَدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟»

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ امْرَأَةً ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتْ
النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، مَا أَعْتَبُ
عَلَيْهِ فِي خُلُقِي وَلَا دِينِي، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ،
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَرَدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟» قَالَتْ: نَعَمْ،

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْبَلِ الْحَدِيثَةَ وَطَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً» (١٧٨).

كانت امرأةً ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ رضي الله عنه - واسمها جميلة بنتُ أَبِي ابنِ سَلُولٍ رضي الله عنه - ذات نسب وجمال، استشهد زوجها حنظلة بن عامر رضي الله عنه في معركة أحد، فخطبها ثابت بن قيس رضي الله عنه، خطيب رسول ﷺ، ولم يكن مثلها لتقبل مثله ولكن أغراها بالزواج بما دفعه لها مهرًا، فقد أمهرها بستانًا من خير بساتين المدينة، فرضيت به، وولدت له فيها ابنه محمدًا، أتت النَّبِيَّ ﷺ، فأخبرته أنها لا تعيبُ على زوجها ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ شَيْءٌ يَنْقُضُهُ فِي دِينِهِ وَلَا خُلُقِهِ، ولكنها لا تطيقه لأنه دميم الخَلْقَةِ، فلا يجتمع رأسها ورأس ثابت أبدًا.

قالت: ولكنها تَكْرَهُ الكُفْرَ في الإسلام. أي: تخشى كفران الزوج لأنها تُبْغِضُهُ لِدِمَامَتِهِ، وَقُبْحِ صُورَتِهِ، وتخشى من النَّفْوَْرِ الطَّبِيعِيِّ مِنْهُ يُوْدِي إلى كُفْرَانِ الْعَشِيرِ، والتَّقْصِيرِ فِي حَقِّ الزَّوْجِ، ووقوع في الشَّقَاقِ وَالنُّشُوزِ وَالْخُصُومَةِ مِمَّا يُتَوَقَّعُ مِنَ الشَّابَّةِ الْجَمِيلَةِ الْمُبْغِضَةِ لِزَوْجِهَا أَنْ تَفْعَلَهُ.

لم يجادلها النَّبِيُّ ﷺ فيما قررت، ولم يلزمها على الحياة الزوجية، لكن يوجد مشكل ولا بد من حله وهو بستان لقد أعطاها ثابت مهرًا لها، فهل من العدل أن يجزل الزوج العطاء، ثم يخسر الزوج ماله وزوجته بادعاء أنها تكرهه؟

لو كان البغض من الرجل فطلقها، لا يحل له أن يأخذ شيئاً مما أعطاها، لأنه هو السبب في الفراق، أما إذا كانت هي السبب فعليها أن ترجع ما دفعه لها مهرًا، حتى لا تجمع عليه مصابين، الفراق وخسارة المال، فقبلت أن تتحمل ما ترتب على طلاقها دون أن تحمّل الخسارة للطرف الآخر، كما يفعل كثير من الناس.

لذلك سأهاها النَّبِيُّ ﷺ: «أَتُرَدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟» أي: تَسترجعين عَلَيْهِ بُسْتَانَهُ الَّذِي أَعْطَاكِ مَهْرًا؟ قَالَتْ: نعم. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَزَوْجِهَا ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَقْبَلِ الْحَدِيقَةَ وَطَلَّقْهَا تَطْلِيقَةً»، أي أمره بقبض المهر ثم تطليقها.

وهذه الآية مشروعية خلع المرأة لزوجها، ويقع الخلع بالتراضي، من دون أمر من القاضي.

قال الله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

٩١- اقضِ عَلَيَّ دَيْنًا وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: لَمَّا حَضَرَ أَحَدُ دَعَانِي أَبِي مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: مَا أَرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنِّي لَا أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ، غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ، وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا، فَأُصْبِحْنَا، فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ وَدُفِنَ مَعَهُ آخَرُ فِي قَبْرِ، ثُمَّ لَمْ تَطْبُ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ الْآخِرِ، فَاسْتَخَرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ هُنَيْئَةً غَيْرَ أَذْنِهِ (١٧٩).

موقع جبل أحد مشهور في المدينة المنورة، وله مكانة عظيمة في نفس النبي ﷺ وفي نفوس المسلمين أيضًا، ولشهداء أحد عند الله كرامات بعد مقتلهم، وقعت معركة أحد في شوال في السنة الثالثة من الهجرة.

يقول جابر بن عبد الله ﷺ: لَمَّا حَضَرَ وَقْتُ غَزْوَةِ أُحُدٍ دَعَانِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ ﷺ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي كَانَتْ وَقْعَةُ أَحَدٍ؛ وَأَفْضَى إِلَيَّ، فَقَالَ: مَا أُرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، قِيلَ: إِنَّ سَبَبَ ظَنِّهِ ذَلِكَ رُؤْيَا رَأَاهُ فِي مَنَامِهِ، أَوْ عِلْمَ بِالْعَدَدِ الَّذِي حَشَدَتْهُ قَرِيشٌ لِلْمَعْرَكَةِ، وَقَدْ جَاؤُوا بِمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ عَدَدٍ وَعَتَادٍ، فَجَعَلَ يُوَصِّي ابْنَهُ جَابِرًا ﷺ عَنْ أُمُورٍ لَمْ يَقْدِرْ لَهُ أَنْ يَسْتَكْمِلَهَا فِي حَيَاتِهِ، وَخَاصَّةَ الْحَقُوقِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْعِبَادِ وَالْوَرَثَةِ.

بدأ الصحابي عبد الله بن عمرو الأنصاري ﷺ وصيته بسرد مكانة ابنه من نفسه، وأنه أعز الناس عنده، فقال: وَإِنِّي لَا أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ غَيْرَ نَفْسِ النَّبِيِّ ﷺ،

وخلا النبي ﷺ لشدّة حُبّه للنبي ﷺ؛ إذ لم يُقدّم على محبّته أحدًا ولو كان ابنه أو ماله.

ثمّ أوصاه بأمرين اثنين لما شعرَ بقُربِ أجله: أوله بسداد دينه، وسداد الدّين من بعد موت، يفك أسر الميت لأنه من حقوق النّاس، وهذا من دأب الصّالحين.

والوصية الثانية: أن يرعى أخواته، وأن يقوم على رعايتهنّ؛ قيل: إنّ جابرًا رضي الله عنه كان له تسع أخوات، وهو وحيد أبيه، وقد وردت في قصة أخرى كيف حفظ وصية أبيه وتزوج امرأة ثيبًا أكبر منه، لتكون لأخواته بمنزلة الأم كي ترعاهنّ.

قال جابرٌ: فأصبَحْنَا، ويَقْصِدُ بعد انْجلاء المعركة وانسحاب الكفار، كان عبدُ الله بنُ عمرو الأنصاري رضي الله عنه أوّل قتيلٍ في غزوة أُحُدٍ، فبعد انتهاء المعركة حمل الصحابة قتلاهم ليدفنوهم في مقابر المدينة، لكن جاءهم منادي النبي ﷺ أمرًا لهم أن يردوا القتلى ليدفنوا في مصارعهم، فدُفِنَ مع عبدِ الله بنِ عمرو الأنصاري رضي الله عنه رجلٌ آخرٌ في

قبر واحد، قيل كان المدفون معه صديقه: عمرو بن
 الجموح رضي الله عنه، وكان عدد قتلى أحد نافوا السبعين، فمن بقي
 من الأحياء من الصحابة أصابهم القرح والجهد فشكوا إلى
 رسول الله ﷺ أن الحفر علينا لكل إنسان شديد، فقد روى
 هشام بن عامر أنهم قالوا: (شكونا إلى رسول الله ﷺ يوم
 أحد، فقلنا: يا رسول الله، الحفر علينا لكل إنسان شديد!
 فقال رسول الله ﷺ: «احفروا وأعمقوا وأحسنوا، وادفنوا
 الاثنين والثلاثة في قبر واحد»، قالوا: فمن نقدّم يا رسول
 الله؟ قال: «قدّموا أكثرهم قرآنا»، قال: فكان أبي ثالث
 ثلاثة في قبر واحد^(١٨٠)، وهذا يدل على مشروعية جمع
 الرجلين والثلاثة في القبر الواحد.

لم يطب جابر بن عبد الله رضي الله عنه ولم تستريح نفسه ولم
 يستقر قلبه أن يكون والده مدفوناً مع غيره في قبر واحد،
 قام جابر بنش قبر والده بعد ستة أشهر من دفنه، استخرجاه
 ووضعه في قبر آخر لوحده، وكان إخراجهم من قبره بعلم

(١٨٠) «رواه هشام بن عامر»: ٢٠٠٩، وصححه النسائي.

النبي ﷺ وموافقته، وهذا يدل على مشروعية إخراج المَيِّتِ بَعْدَ مَا يُدْفَنُ إذا كان لِسَبَبٍ معين، وقد حدثنا جابر الأنصاري رحمه الله عما أكرم الله به أباه بعد شهادته، حيث وجدته لم يتغير شيء في جسد أبيه عبد الله ﷺ، رغم مُرورِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ على دَفْنِهِ، غيرَ موضعٍ صَغِيرٍ عِنْدَ أُذُنِهِ، وهذا حِفْظُ اللَّهِ لَجَسَدِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ مِنْ كَرَامَاتِ اللَّهِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ الأنصاري رحمه الله.

٩٢- الوصية مشروعة بكتاب

الله وسنة رسوله

شَرَعَ اللَّهُ ﷻ الوصِيَّةَ لُطْفًا بِعِبَادِهِ وَرَحْمَةً بِهِمْ، عِنْدَمَا جَعَلَ لِلْمُسْلِمِ نَصِيبًا مِنْ مَالِهِ يُوصِي بِهِ قَبْلَ وَفَاتِهِ فِي أَعْمَالِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ إِلَى غَيْرِهِ، وَتَعَوُّدُ عَلَى الْمَوْصِي بِالْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، وَالْوَصِيَّةُ هِيَ هَبَةُ الْإِنْسَانِ إِلَى غَيْرِهِ عَيْنًا أَنْ يَمْلِكَ الْمَوْصِي لَهُ بَعْدَ مَوْتِ الْمَوْصِي.

قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ

الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ
حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿البقرة: ١٨٠﴾.

قال البغوي: قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ أي فرض عليكم ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي جاءه أسباب الموت وآثاره من العلل والأمراض ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ أي مالا نظيره قوله تعالى ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ كانت الوصية فريضة في ابتداء الإسلام للوالدين والأقربين على من مات وله مال، ثم نسخت بآية الميراث (١٨١).

وقال تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢].

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما حقُّ امرئٍ مسلمٍ له شيءٌ يُوصي فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبةً عنده» (١٨٢).

(١٨١) «تفسير البغوي».

(١٨٢) «متفق عليه، أخرجه البخاري»: ٢٧٣٨، و«مسلم»: ١٦٢٧،

باختلاف يسير.

حَثَّ الشَّرْعَ وَأَكَّدَ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِكِتَابَةِ الْوَصِيَّةِ قَبْلَ أَنْ يَفْجَأَ الْإِنْسَانُ الْمَوْتَ، سَوَاءً كَانَ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً، وَلَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَمْلاكِ وَالْبَنِينَ، وَالْحَقُوقِ الَّتِي لَهُ وَعَلَيْهِ؛ وَأَنْ تُضَبَّطَ بِالْكِتَابَةِ؛ لِأَنَّهَا أَثَبَّتْ مِنَ الْحِفْظِ؛ وَقَدْ تَكُونُ الْوَصِيَّةُ فِي الدُّيُونِ أَوْ كَفَّارَاتٍ، أَوْ زَكَاةَ فَرَطٍ فِيهَا، وَأَنْ لَا يَمْضِي عَلَيْهِ يَوْمَانِ أَوْ أَكْثَرُ؛ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ وَحَاضِرَةٌ عِنْدَهُ، فَإِذَا وَصَّى بِذَلِكَ سَدَدَتْ دِيُونُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ وَمِنْ رَأْسِ مَالِهِ.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كانوا يكتبون في صدور وصاياهم: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ فَلَانُ ابْنُ فَلَانٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَأَوْصَى مَنْ تَرَكَ مِنْ أَهْلِهِ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ وَيُصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَيَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ، وَأَوْصَاهُمْ بِمَا أَوْصَى بِهِ إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ

مسلمونَ وأوصَى إن حدث به حدثٌ من وجعه هذا أنَّ حاجته كذا وكذا (١٨٣).

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في خطبته عامَ حجةِ الوداعِ، «**إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَلَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ**» (١٨٤).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: مَرَضْتُ، فَعَادَنِي النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا يَرُدَّنِي عَلَى عَقِبِي، قَالَ: «**لَعَلَّ اللَّهَ يَرْفَعَكَ وَيَنْفَعُ بَكَ نَاسًا**»، قُلْتُ: أُرِيدُ أَنْ أُوصِيَ، وَإِنَّمَا لِي ابْنَةٌ، قُلْتُ: أُوصِي بِالنِّصْفِ؟ قَالَ: «**النِّصْفُ كَثِيرٌ**»، قُلْتُ: فَالثُّلُثُ؟ قَالَ: «**الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ**». أَوْ- **كَبِيرٌ**»، قَالَ: فَأَوْصِي النَّاسَ بِالثُّلُثِ، وَجَازَ ذَلِكَ لَهُمْ (١٨٥).

(١٨٣) «إرواء الغليل»: ٦ / ٨٤، الألباني، رواه محمد بن سيرين،

إسناده جيد رجاله كلهم على شرط البخاري.

(١٨٤) «سنن الترمذي»: ٢١٢٠، حسن صحيح، وأخرجه أبو

داود: ٣٥٦٥، وأحمد: ٢٢٢٩٤، باختلاف يسير، وابن

ماجه: ٢٧١٣، مختصراً.

(١٨٥) «صحيح البخاري»: ٢٧٤٤.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيَعْمَلَ الْمَرَأَةَ بَطَاعَةَ اللَّهِ سِتِينَ سَنَةً ثُمَّ يَحْضُرُهَا الْمَوْتُ فَيُضَارَّانِ فِي الْوَصِيَّةِ فَتَجِبُ لَهَا النَّارُ»، ثُمَّ قرأ أبو هريرة ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ. إِلَىٰ قَوْلِهِ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٨٦).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلّموا الفرائض؛ فإنّها من دينكم (١٨٧).

٩٣- «اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَىٰ لَكُمْ»

عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّجَالَةِ - الرِّمَاءِ - يَوْمَ أُحُدٍ - وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا - عَبْدَ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: «إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطِفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّىٰ أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا

(١٨٦) «سنن الترمذي»: ٢١١٧، حسن صحيح غريب، و«أخرجه

أبو داود»: ٢٨٦٧، باختلاف يسير، و«أخرجه ابن ماجه»: ٢٧٠٤، و«أحمد»: ٧٧٤٢، بنحوه.

(١٨٧) «هداية الرواة»: ٣٠٠٥، الألباني، إسناده صحيح.

هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ». فَهَزَمُوهُمْ، قَالَ: فَأَنَا - وَاللَّهِ - رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ قَدْ بَدَتْ خَلَاخِلُهُنَّ وَأَسْوَفُهُنَّ رَافِعَاتِ ثِيَابِهِنَّ، فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ: الْغَنِيمَةُ أَيُّ قَوْمِ الْغَنِيمَةِ؛ ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ، فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ: أَنْصَيْتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ، فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ الْغَنِيمَةِ. فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ، فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ، فَذَاكَ إِذْ يَدْعُوهُمْ الرَّسُولُ فِي أَخْرَاهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَصَابُوا مِنْ سَبْعِينَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِئَةً؛ سَبْعِينَ أَسِيرًا، وَسَبْعِينَ قَتِيلًا، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَنَهَاَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُحْيِيُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةٍ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قُتِلُوا، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ؛ إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءَ كُلَّهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ

لَكَ مَا يَسْؤُوكَ، قَالَ: يَوْمَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَنِي فِي الْقَوْمِ مِثْلَةً، لَمْ أَمُرْ بِهَا، وَلَمْ تَسْؤِنِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبْلُ، أُعْلُ هُبْلُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا تُجِيبُوا لَهُ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌ»، قَالَ: إِنَّ لَنَا الْعِزَّيَّ وَلَا عِزَّيَّ لَكُمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا تُجِيبُوا لَهُ؟» قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَى لَكُمْ» (١٨٨).

لم يبقَ في معركة أحد مع النبي ﷺ غيرُ اثني عشر رجلاً، وقيل: أربعة عشر، ثبتَ معه مِنَ الْمُهَاجِرِينَ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعَلِيٌّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه، وَمِنَ الْأَنْصَارِ: الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ، وَأَبُو دُجَانَةَ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَفْلَحِ، وَالْحَارِثُ بْنُ الصَّمَّةِ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَقِيلَ: وَسَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ.

قَتَلَ الْمُشْرِكُونَ سَبْعِينَ رَجُلًا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعْرَكَةٍ
أَحَدٍ، مِنْهُمْ عَمُّ النَّبِيِّ ﷺ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَتَلَهُ
وَحْشِيٌّ - غَلَامٌ جَبِيرٌ بِنِ مُطْعِمٍ -.

أَصَابَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ سَبْعِينَ
رَجُلًا أَسِيرًا، وَسَبْعِينَ قَتِيلًا، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ بَعْدَ انْتِهَاءِ
مَعْرَكَةِ أَحَدٍ: - وَهُوَ لَمْ يَسْلَمْ آنَ ذَاكَ -: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ نَادَى
أَبُو سُفْيَانَ وَسَأَلَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةٍ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،
أَي: أبا بَكْرٍ ﷺ، ثُمَّ نَادَى أَبُو سُفْيَانَ وَسَأَلَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ
الْخَطَّابِ؟ أَي: عُمَرُ ﷺ، أَي: هَلْ هُمْ مِنْ عِدَادِ الْقَتْلَى؟
فَرَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قُتِلُوا،
يَقْصِدُ النَّبِيُّ ﷺ وَصَاحِبِيهِ ﷺ، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ ﷺ نَفْسَهُ،
فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ أَحْيَاءَ
كُلُّهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوؤُكَ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ
بِالرَّدِّ عَلَى أَبِي سُفْيَانَ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَوْمٌ بَيَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ،
أَي: مُقَابَلَةٌ يَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ تَكُونُ مَرَّةً لِهَؤُلَاءِ، وَمَرَّةً

لهؤلاء، ثم قال: إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي الْقَوْمِ مَثَلًا، أي: مقطوع الأنوف ومبقور البطون، هو لم يأمر بها؛ ولم تسؤه.

ثم قال: «اعْلُ هُبْلُ، اعْلُ هُبْلُ»: اسم صنم في الكعبة يعبدونه أعلاه كالجبَل، فلمَّا سمِعَ النَّبِيُّ ﷺ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَقُولُوا: «اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ»، أي: كَلِمَةُ اللَّهِ تَعَالَى أَعْلَى وَأَظْهَر.

فقال أبو سفيان: «إِنَّ لَنَا الْعُزَّى، وَلَا عُزَّى لَكُمْ» أي: اسم صنم كان لقريش، فأمر النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوا أَبَا سُفْيَانَ: «اللَّهُ مُؤَلَّانَا، وَلَا مَوْلَى لَكُمْ»، أي: إِنَّ اللَّهَ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا مَوْلَى لَكُمْ.

ظهر في الحديث عاقبة مخالفة أوامر النَّبِيِّ ﷺ، حيث كان سبب الهزيمة والخسران. وتبين أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَرَجَ عَنْ طَاعَةِ الْقَائِدِ فِيمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ، فَالْغَلْبَةُ لِمَنْ أَخَذَ بِالْأَسْبَابِ الدُّنْيَوِيَّةِ، مِنْ كَثْرَةِ السَّلَاحِ وَالْعَدَدِ وَالْعَتَادِ، لِأَنَّ مُخَالَفَةَ أَوْامِرِ الْأَمِيرِ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْهَزِيمَةِ وَالْانْكَسَارِ.

كما علموا منزلة أبي بكرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 عندما سأل أبو سفيان: أفي القَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ أفي القَوْمِ ابنُ
 أَبِي قُحَافَةَ؟ أفي القَوْمِ ابنُ الخَطَّابِ؟ ثلاثَ مرَّاتٍ، عندما
 لم يسمع ردهم ظن أنهم قتلوا، رَجَعَ إلى أَصْحَابِهِ قائلًا:
 أَمَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قُتِلُوا، لِإِدْرَاكِهِ أَهْمِيَّةٍ وَخُصُوصِيَّةٍ ابْنِ أَبِي
 قُحَافَةَ-أبي بكر- وعمر بن الخطَّابِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٩٤- ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾

عن مجاهد بن جبر المكي، قال: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما،
 يَقُولُ: كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ الْقِصَاصُ، وَلَمْ تَكُنْ فِيهِمْ
 الدِّيَّةُ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِهَذِهِ الْأُمَّةِ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ
 فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ
 عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فَالْعَفْوُ أَنْ يَقْبَلَ الدِّيَّةُ
 فِي الْعَمْدِ، ﴿فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ يَتَّبِعُ
 بِالْمَعْرُوفِ وَيُؤَدِّي بِإِحْسَانٍ، ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ
 وَرَحْمَةٌ﴾ مِمَّا كُتِبَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، ﴿فَمَنْ اعْتَدَى بِعَدَاةٍ

ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿قَتَلَ بَعْدَ قَبُولِ الدِّيَّةِ﴾ (١٨٩).

أَعْطَتْ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَأَقَامَتْ الشَّرِيعَةُ مَوَازِينَ الْعَدْلِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ النَّاسِ وَالْأُمَمِ، وَأَشَارَ إِلَى بَابِ الرَّحْمَةِ وَالتَّيْسِيرِ بَيْنَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَشَرَعَ الْقِصَاصَ وَأَمَرَ أَنْ لَا يَتَضَرَّرَ أَحَدٌ مِنَ الْقِصَاصِ، وَالْقِصَاصُ: هُوَ مُعَاقِبَةُ الْجَانِي إِنْ قَتَلَ مُتَعَمِّدًا أَوْ أَتْلَفَ عُضْوًا أَوْ جَرَحَ جَرْحًا يُعَاقَبُ بِمِثْلِهِ، كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ الْقِصَاصَ وَلَمْ تَكُنِ الدِّيَّةُ، وَالدِّيَّةُ: هِيَ تَعْوِضُ أَهْلِ الْمَجْنِيِّ عَلَيْهِ بِمِقْدَارٍ مِنَ الْمَالِ مِنْ طَرَفِ الْقَاتِلِ أَوْ أَقَارِبِ الْقَاتِلِ أَوْ الْمَجْرُوحِ أَوْ أَقَارِبِ الْمَجْرُوحِ، مُقَابِلَ الْعَفْوِ عَنْهُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

قال السعدي: يمتن تعالى على عباده المؤمنين، بأنه فرض عليهم ﴿الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ أي: المساواة فيه، وأن يقتل القاتل على الصفة، التي قتل عليها المقتول، إقامة للعدل والقسط بين العباد. وتوجيه الخطاب لعموم المؤمنين، فيه دليل على أنه يجب عليهم كلهم، حتى أولياء القاتل حتى القاتل بنفسه إعانة ولي المقتول، إذا طلب القصاص وتمكينه من القاتل، وأنه لا يجوز لهم أن يحولوا بين هذا الحد، ويمنعوا الولي من الاقتصاص، كما عليه عادة الجاهلية، ومن أشبههم من إيواء المحدثين. ثم بين تفصيل ذلك فقال: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ يدخل بمنطوقها، الذكر بالذكر، ﴿وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ والأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، فيكون منطوقها مقدماً على مفهوم قوله: ﴿الْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ مع دلالة السنة، على أن الذكر يقتل بالأنثى، وخرج من عموم هذا الأبوان وإن علوا، فلا يقتلان بالولد، لورود السنة بذلك، مع أن في قوله: ﴿الْقِصَاصُ﴾ ما يدل على أنه ليس من العدل، أن يقتل الوالد بولده، ولأن في

قلب الوالد من الشفقة والرحمة، ما يمنعه من القتل لولده إلا بسبب اختلال في عقله، أو أذية شديدة جدًّا من الولد له. وخرج من العموم أيضًا، الكافر بالسنة، مع أن الآية في خطاب المؤمنين خاصة. وأيضًا فليس من العدل أن يقتل ولي الله بعدوه، والعبد بالعبد، ذكرًا كان أو أنثى، تساوت قيمتهما أو اختلفت، ودل بمفهومها على أن الحر، لا يقتل بالعبد، لكونه غير مساو له، ﴿وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ﴾، أخذ بمفهومها بعض أهل العلم فلم يجوز قتل الرجل بالمرأة، وتقدم وجه ذلك.

وفي هذه الآية دليل على أن الأصل وجوب القود في القتل، وأن الدية بدل عنه، فلهذا قال: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ أي: عفا ولي المقتول عن القاتل إلى الدية، أو عفا بعض الأولياء، فإنه يسقط القصاص، وتجب الدية، وتكون الخيرة في القود واختيار الدية إلى الولي. فإذا عفا عنه وجب على الولي، [أي: ولي المقتول] أن يتبع القاتل ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من غير أن يشق عليه، ولا يحمله ما لا

يطيق، بل يحسن الاقتضاء والطلب، ولا يخرجه. وعلى القاتل ﴿أَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ من غير مطل ولا نقص، ولا إساءة فعلية أو قولية، فهل جزاء الإحسان إليه بالعفو، إلا الإحسان بحسن القضاء، وهذا مأمور به في كل ما ثبت في ذمم الناس للإنسان، مأمور من له الحق بالاتباع بالمعروف، ومن عليه الحق، بالأداء بإحسان.

وفي قوله: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ﴾ تريق وحث على العفو إلى الدية، وأحسن من ذلك العفو مجاناً. وفي قوله: ﴿أَخِيهِ﴾ دليل على أن القاتل لا يكفر، لأن المراد بالأخوة هنا أخوة الإيمان، فلم يخرج بالقتل منها، ومن باب أولى أن سائر المعاصي التي هي دون الكفر، لا يكفر بها فاعلها، وإنما ينقص بذلك إيمانه، وإذا عفا أولياء المقتول، أو عفا بعضهم، احتقن دم القاتل، وصار معصوماً منهم ومن غيرهم، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى بِعَدَاكَ﴾ أي: بعد العفو ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الآخرة، وأما قتله وعدمه، فيؤخذ مما تقدم، لأنه قتل مكافئاً له، فيجب قتله بذلك.

وأما من فسر العذاب الأليم بالقتل، فإن الآية تدل على أنه يتعين قتله، ولا يجوز العفو عنه، وبذلك قال بعض العلماء والصحيح الأول، لأن جانيته لا تزيد على جناية غيره.

ومعنى الآية: أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ وَشَرَعَ الْقِصَاصَ، وَأَنْ يُعَاقَبَ الْجَانِي الْمُتَعَمِّدُ بِمِثْلِ جَنَايَتِهِ، وَالْعَفْوُ أَنْ يَقْبَلَ الْأَوْلِيَاءُ الدِّيَّةَ فِي الْقَتْلِ، وَالْجِرَاحِ الْعَمْدِ، وَلَا يُقْتَصُّ مِنَ الْجَانِي إِنْ قُبِلَتِ الدِّيَّةُ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْمَجْنِيِّ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾، فَإِذَا عَفَا أَهْلُ الْمَقْتُولِ، وَقَبِلُوا الدِّيَّةَ، فَلْيَطْلُبُوهَا بِحُسْنِ خِطَابٍ، وَدُونَ إِثْقَالٍ، وَيُؤَدِّي إِلَيْهِمُ الْقَاتِلُ مَا عَلَيْهِ مِنْ دِيَّةٍ بِإِنْجَازٍ دُونَ تَأْخِيرٍ أَوْ إِسَاءَةٍ؛ بَلْ عَلَى أَفْضَلِ حَالٍ، ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ بِخِلَافِ مَا كُتِبَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ، ﴿فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أَي: مَنْ تَعَدَّى هَذَا الْحُكْمَ -بِأَنْ اِقْتَصَّ مِنَ الْقَاتِلِ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ الدِّيَّةَ- فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

وفي الحديث: بَيَانُ اتِّفَاقِ الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ فِي أَصْلِ
 الْأَحْكَامِ مَعَ اخْتِلَافِ التَّفَاصِيلِ. وفيه: بَيَانُ أَنَّ الْأُمَّةَ
 الْإِسْلَامِيَّةَ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، وَمُخَفَّفَةٌ عَنْهَا فِي الْأَحْكَامِ، وَذَلِكَ
 مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ. وفيه: حُصُّ مِنَ اللَّهِ
 تَعَالَى عَلَى حُسْنِ الْاِقْتِضَاءِ مِنَ الطَّالِبِ، وَحُسْنِ الْقَضَاءِ
 مِنَ الْمُؤَدِّي. وفيه: أَنَّ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ لَا يَخْرُجُ عَنْ مُسَمًّى
 الْإِيمَانِ؛ لِلْوَصْفِ بِالْإِيمَانِ بَعْدَ وُجُودِ الْقَتْلِ، وَلِبَقَاءِ الْأُخُوَّةِ
 الثَّابِتَةِ بِالْإِيمَانِ، وَلَا سِتِّحْقَاقِ التَّخْفِيفِ وَالرَّحْمَةِ.

ثم بين تعالى حكمته العظيمة في مشروعية القصاص
 فقال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أي: تنحqn بذلك
 الدماء، وتنقمع به الأشقياء، لأن من عرف أنه مقتول إذا
 قتل، لا يكاد يصدر منه القتل، وإذ ارئي القاتل مقتولاً اندعر
 بذلك غيره وانزجر، فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل، لم
 يحصل انكفاف الشر، الذي يحصل بالقتل، وهكذا سائر
 الحدود الشرعية، فيها من النكاية والانزجار، ما يدل على
 حكمة الحكيم الغفار، ونكر الحياة لإفادة التعظيم والتكثير.

ولما كان هذا الحكم، لا يعرف حقيقته، إلا أهل العقول الكاملة والألباب الثقيلة، خصهم بالخطاب دون غيرهم، وهذا يدل على أن الله تعالى، يحب من عباده، أن يعملوا أفكارهم وعقولهم، في تدبر ما في أحكامه من الحكم، والمصالح الدالة على كماله، وكمال حكمته وحمده، وعدله ورحمته الواسعة، وأن من كان بهذه المثابة، فقد استحق المدح بأنه من ذوي الألباب الذين وجه إليهم الخطاب، وناداهم رب الأرباب، وكفى بذلك فضلاً وشفراً لقوم يعقلون. وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وذلك أن من عرف ربه وعرف ما في دينه وشرعه من الأسرار العظيمة والحكم البديعة والآيات الرفيعة، أوجب له ذلك أن ينقاد لأمر الله، ويعظم معاصيه فيتركها، فيستحق بذلك أن يكون من المتقين (١٩٠).

(١٩٠) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»: ص ٨٤-٨٥،

العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، متوفى ١٣٧٦هـ..

٩٥- أهل الشقاق والنفاق والعناد

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «قِيلَ لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً﴾ [البقرة: ٥٨]. فَبَدَّلُوا، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ» (١٩١).

اليهودُ قوم كذبوا أنبياءَ الله وقتلُوهم، وخانوا ونقضوا العهود والمواثيق مع الله ومع رُسُلِهِ ومعَ النَّاسِ، ومالوا عَن طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْهَدَايَةِ واختاروا طَرِيقَ الْغَوَايَةِ، حيثُ قال اللهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ: «ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً» [البقرة: ٥٨]، أُمِرُوا أَنْ يَخْضَعُوا بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَأَنْ يَدْخُلُوا رُكْعًا مُتَوَاضِعِينَ لَهُ سُبْحَانَهُ عِنْدَ دُخُولِهِمْ أَحَدَ أَبْوَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، كِي يَضَعَ عَنْهُمْ ذُنُوبَهُمْ وَخَطَايَاهُمْ، فَبَدَّلَ الْيَهُودُ مَا أُمِرُوا بِهِ، وَدَخَلُوا أَحَدَ أَبْوَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ يَزْحَفُونَ عَلَى مَوْخِرَاتِهِمْ، وَقَالُوا: «حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ»، حنطة حبة حمراء فيها شعيرة، وغرضُهم مُخَالَفَةُ مَا أُمِرُوا بِهِ، هُوَ أَنْ

(١٩١) متفق عليه. «أخرجه البخاري»: ٣٤٠٣، و«مسلم»: ٣٠١٥.

يَحِطُّ عَنْهُمْ ذُنُوبَهُمْ، فَلَمَّا عَصَوْا عَاقِبَهُمْ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى،
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ
 لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
 يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩].

قال ابن عباس: كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني
 به العذاب، وقال سعيد بن جبير: هو الطاعون.

٩٦- (أَشْرَقَ وَجْهَهُ وَسَرَّهُ)

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ بْنِ
 الْأَسْوَدِ مَشْهَدًا، لِأَنَّهُ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ؛
 أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: لَا نَقُولُ
 كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: (اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا)، وَلَكِنَّا
 نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفِكَ.
 (فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَقَ وَجْهَهُ وَسَرَّهُ). يَعْنِي قَوْلُهُ (١٩٢).

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه شهد من المقداد بن

الأسود عليه السلام موقفًا، تمنى لو أنه كان صاحبَ هذه المقالة،
وأنها أحبُّ إليه ممَّا عُدلَ به، فقد قال المقداد عليه السلام لرسولِ
الله صلى الله عليه وآله: لا نقولُ كما قال قومُ موسى عليه السلام: (اذهب أنتَ
ورَبُّكَ فَقَاتِلَا)، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ
نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا
هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، (ولكنَّا نقاتِلُ عن يَمِينِكَ،
وعن شِمَالِكَ، وبينَ يَدَيْكَ وخَلْفَكَ)، ف (أشرقَ وجهُه
وسرَّه) سرَّه ذلك واستنارَ وجهه الكريم صلى الله عليه وآله، لما سمعَ
تلك الكلماتِ من المقداد عليه السلام.

٩٧- «أَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ»

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قال: «إِنَّ مُوسَى
كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِيرًا، لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتَحْيَاءُ
مِنْهُ، فَأَذَاهُ مَنْ أَذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا
التَّسْتَرُ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ، وَإِمَّا أُذْرَةٌ، وَإِمَّا آفَةٌ.
وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَحَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ،

فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرٌ، ثَوْبِي حَجَرٌ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الْحَجَرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ، وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بَعْصَاهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩] (١٩٣).

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلوات الله وسلامه عليه قال: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاءً، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَكَانَ مُوسَى صلوات الله وسلامه عليه يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلَّا أَنَّهُ آدُرٌ، فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ، فَخَرَجَ مُوسَى فِي إِثْرِهِ، يَقُولُ:

(١٩٣) متفق عليه. «أخرجه البخاري»: ٣٤٠٤، و«أخرجه مسلم»:

ثُوبِي يَا حَجْرُ، حَتَّى نَظَرْتُ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى مُوسَى، فَقَالُوا:
وَاللَّهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، وَأَخَذَ ثُوبَهُ، فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ
ضَرْبًا»، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَاللَّهِ إِنَّهُ لَنَدَبٌ بِالْحَجَرِ، سِتَّةٌ أَوْ
سَبْعَةٌ، ضَرْبًا بِالْحَجَرِ» (١٩٤).

٩٨- (فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ)

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ
الْأَشْرَفِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟» فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلَمَةَ
فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُتِحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَأَذَنْ
لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا، قَالَ: «قُلْ»، فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلَمَةَ فَقَالَ:
إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّا، وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتَكَ
أَسْتَسْلِفُكَ، قَالَ: وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمْلُئَنَّهُ، قَالَ: إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ، فَلَا
نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا
أَنْ تُسَلِّفَنَا وَسُقَا أَوْ وَسُقَيْنَ - وَحَدَّثَنَا عَمْرٌ وَغَيْرَ مَرَّةٍ، فَلَمْ يَذْكُرْ
«وَسُقَا أَوْ وَسُقَيْنَ»، فَقُلْتُ لَهُ: فِيهِ «وَسُقَا أَوْ وَسُقَيْنَ»؟ فَقَالَ:

أرى فيه «وَسَقَا أَوْ وَسَقَيْنِ» - فقال: نَعَمْ، ارْهُونِي، قالوا: أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟ قَالَ: ارْهُونِي نِسَاءَكُمْ، قالوا: كَيْفَ نَرَهْنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ؟! قَالَ: فَارْهُونِي أَبْنَاءَكُمْ، قالوا: كَيْفَ نَرَهْنُكَ أَبْنَاءَنَا، فَيَسُبُّ أَحَدُهُمْ، فيُقَالُ: رَهْنٌ بَوَسَقٍ أَوْ وَسَقَيْنِ؟! هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرَهْنُكَ اللَّأَمَةَ - قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي السَّلَاحَ - فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ، وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرِّضَاعَةِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ، فَتَزَلَّ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ - وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو: قَالَتْ: أَسَمِعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ، قَالَ: إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ؛ إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ لَبَلِيلٌ لَأَجَابَ - قَالَ: وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ - قِيلَ لِسُفْيَانَ: سَمَاهُمْ عَمْرٍو؟ قَالَ: سَمَى بَعْضَهُمْ؛ قَالَ عَمْرٍو: جَاءَ مَعَهُ بَرَجُلَيْنِ، وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو: أَبُو عَبْسٍ بْنُ جَبْرِ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ، وَعَبَادُ بْنُ بَشِيرٍ - قَالَ عَمْرٍو: جَاءَ مَعَهُ بَرَجُلَيْنِ، فَقَالَ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعْرِهِ فَأَشْمُهُ، فَإِذَا

رَأَيْتُمُونِي اسْتَمَكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ، فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ - وَقَالَ
 مَرَّةً: ثُمَّ أَشْمُكُمْ - فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفُخُ مِنْهُ رِيحُ
 الطَّيِّبِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا، أَيُّ أَطْيَبَ. وَقَالَ غَيْرُ
 عَمْرٍو: قَالَ: عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ، قَالَ
 عَمْرٍو: فَقَالَ أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَشَمَّ رَأْسَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَشَمَّهُ، ثُمَّ
 أَشَمَّ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذُنُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا اسْتَمَكَنْ
 مِنْهُ، قَالَ: دُونَكُمْ، فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ (١٩٥).

٩٩- مراد تأديب لا إنتلاف

قال الإمام ابن القيم: وهكذا يفعل الرب سبحانه
 بعباده في عقوبات جرائمهم، فيؤدب عبده المؤمن الذي
 يحبه وهو كريم عنده بأدنى زلة وهفوة، فلا يزال مستيقظاً
 حذراً، وأما من سقط من عينه وهان عليه، فإنه يخلي بينه
 وبين معاصيه، وكلما أحدث ذنباً أحدث له نعمة، والمغرور
 يظن أن ذلك من كرامته عليه، ولا يعلم أن ذلك عين

الإهانة، وأنه يريد به العذاب الشديد، والعقوبة التي لا عاقبة معها.

كما في الحديث المشهور: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ عَجَلَ لَهُ عِقَابُهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بَعْدَ شَرٍّ أَمْسَكَ عَنْهُ عِقَابُهُ فِي الدُّنْيَا، فَيَرُدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِذُنُوبِهِ».

وفيه دليل أيضاً على هجران الإمام، والعالم، والمطاع لمن فعل ما يستوجب العتب، ويكون هجرانه دواء له بحيث لا يضعف عن حصول الشفاء به، ولا يزيد في الكمية والكيفية عليه فيهلكه، إذ المراد تأديبه لا إتلافه (١٩٦).

وقال رحمه الله: فالدنيا في الحقيقة لا تدم، وإنما يتوجه الذم إلى فعل العبد فيها، وهي قنطرة أو معبر إلى الجنة أو إلى النار. ولكن لما غلبت عليها الشهوات والحظوظ، والغفلة والإعراض عن الله والدار الآخرة، فصار هذا،

(١٩٦) «زاد المعاد في هدي خير العباد»: ص ٤٩٢، للإمام شمس

الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، متوفى

وهو الغالب على أهلها وما فيها، وهو الغالب على اسمها، صار لها اسم الذم عند الإطلاق، وإلا فهي مبنى الآخرة ومزرعتها ومنها الجنة، وفيها اكتسبت النفوس الإيمان ومعرفة الله ومحبته وذكره ابتغاء مرضاته، وخير عيش ناله أهل الجنة إنما كان بما زرعه فيها^(١٩٧).

١٠٠- لا تُصدق ولا تُكذب

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(١٩٨).

قال الذهبي عن كعب الأخبار: هو كعب بن ماتع الحميري اليماني العلامة الحبر، الذي كان يهوديًا فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر رضي الله عنه،

(١٩٧) «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»: ص ١٧٣، للإمام شمس

الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، متوفى

٧٥١هـ.

(١٩٨) «صحيح البخاري»: ٣٤٦١.

فجالس أصحاب محمد ﷺ، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عن الصحابة، وكان حسن الإسلام، متين الديانة، من نبلاء العلماء، حدث عن عمر، وصهيب، وغير واحد.

حدث عنه أبو هريرة، ومعاوية، وابن عباس، وذلك من قبيل رواية الصحابي عن التابعي، وهو نادر عزيز. وحدث عنه أيضًا أسلم مولى عمر، وروى عنه عدة من التابعين، كعطاء بن يسار، وغيره مرسلًا، وكان خبيرًا بكتب اليهود، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة.

وقع له رواية في سنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، سكن بالشام بأخرة، وكان يغزو مع الصحابة. وتوفي كعب بحمص ذاهبًا للغزو في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، فلقد كان من أوعية العلم (١٩٩).

(١٩٩) «سير أعلام النبلاء»: ١/ ١١٨، للإمام شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي، متوفى ٧٤٨ هـ.

حدث كعب عن أخبار بني إسرائيل ولا حرج في ذلك، إن لم يعارض شيئاً من ذلك القرآن الكريم والشريعة الإسلامية وسنة نبينا محمد ﷺ، وما كان يحدثه عن الكتب القديمة ليس بحجة عند المسلمين، ولا حرج لمن روى عنه على أنها من رواية كعب عن بني إسرائيل، وهو ما يعرف بالإسرائيليات، إلا إذا كانت مخالفة لما في القرآن العظيم والسنة النبوية الصحيحة فإنها تُكذَّب، فقد أذن النبي ﷺ في روايتها لكن ما لا يخالف القرآن والسنة منها فلا بأس بروايتها بحيث لا تُصدق ولا تُكذَّب.

١٠١- وحشي بن حرب رضي الله عنه

عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري، قال: خَرَجْتُ مع عُبيد الله بن عديّ بن الخِيارِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا حِمَصَ، قَالَ لي عُبيدُ الله بنُ عديّ: هَلْ لَكَ في وَحْشِي نَسْأَلُهُ عَن قَتْلِ حَمَزَةَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، وَكَانَ وَحْشِي يَسْكُنُ حِمَصَ، فَسَأَلْنَا عَنْهُ، فَقِيلَ لَنَا: هُوَ ذَاكَ فِي ظِلِّ قَصْرِهِ كَأَنَّهُ حَمِيْتُ -وعاء

من جلد-، قَالَ: فَجِئْنَا حَتَّى وَقَفْنَا عَلَيْهِ بَيْسِيرٍ، فَسَلَّمْنَا
فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ: وَعُبَيْدُ اللَّهِ مُعْتَجِرٌ- لاف- بَعِمَاتِهِ، مَا
يَرَى وَحَشِيٍّ إِلَّا عَيْنِيهِ وَرِجْلِيهِ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: يَا وَحَشِيٍّ،
أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، إِلَّا أَنِّي أَعْلَمُ
أَنَّ عَدِيَّ بْنَ الْخِيَارِ تَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا: أُمُّ قِتَالٍ بِنْتُ
أَبِي الْعِيصِ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامًا بِمَكَّةَ، فَكُنْتُ أُسْتَرْضِعُ لَهُ،
فَحَمَلْتُ ذَلِكَ الْغُلَامَ مَعَ أُمِّهِ فَنَاوَلْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَكَأَنِّي نَظَرْتُ
إِلَى قَدَمَيْكَ، قَالَ: فَكَشَفَ عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ:
أَلَا تُخْبِرُنَا بِقَتْلِ حَمْزَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ
بَنَ عَدِيٍّ بْنِ الْخِيَارِ بَيْدَرٍ، فَقَالَ لِي مَوْلَايَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ:
إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بَعْمِي فَأَنْتَ حُرٌّ، قَالَ: فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ
عَامَ عَيْنِينَ -وَعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بِحِيَالِ أَحَدٍ، بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ-
خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَى الْقِتَالِ، فَلَمَّا أَنْ اصْطَفَوْا لِلْقِتَالِ،
خَرَجَ سِبَاعٌ فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارَزٍ؟ قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا سِبَاعُ، يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطَّعَةِ الْبُظُورِ -
كَانَتْ تَخْتَنُ النِّسَاءَ -، أَتُحَادُّ -تَعَانِدُ- اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ؟!
قَالَ: ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ، فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ - كُنَايَةٌ عَنْ قَتْلِهِ -،

قَالَ: وَكَمَنْتُ - اخْتَفَيْتُ - لِحَمْزَةٍ تَحْتَ صَخْرَةٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي، فَأَضَعُهَا فِي ثُنْتِهِ - بَيْنَ السَّرَةِ وَالْعَانَةِ - حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ، قَالَ: فَكَانَ ذَلِكَ الْعَهْدَ بِهِ، فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ رَجَعْتُ مَعَهُمْ، فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ حَتَّى فَشَا فِيهَا الْإِسْلَامُ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى الطَّائِفِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَسُولًا، فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ لَا يَهِيْجُ الرَّسُلَ - لَا يَصِيبُ بِأَذَى -، قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَنِي قَالَ: «أَنْتَ وَحْشِي؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةً؟» قُلْتُ: قَدْ كَانَ مِنَ الْأَمْرِ مَا بَلَغَكَ، قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي؟» قَالَ: فَخَرَجْتُ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجَ مُسَيِّلِمُهُ الْكَذَّابُ، قُلْتُ: لَا أَخْرُجَنَّ إِلَى مُسَيِّلِمَةٍ؛ لَعَلِّي أَقْتُلُهُ فَأُكَافِي - أَكْفِرُ - بِهِ حَمْزَةً، قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، قَالَ: فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثَلْمَةٍ - تَصْدَعُ - جِدَارٍ كَأَنَّهُ جَمْلٌ أَوْرَقٌ - غِبَارُ الْحَرْبِ - ثَائِرُ الرَّأْسِ - مَتَشَرِّ الشَّعْرِ -، قَالَ: فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي، فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، قَالَ: وَوُثِبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ

فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ . قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الْفَضْلِ :
فَأَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ :
فَقَالَتْ جَارِيَةٌ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ : وَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - مَسِيلْمَةَ - ،
قَتَلَهُ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ - أَرَادَ الْوَحْشِي رضي الله عنه - (٢٠٠) .

١٠٢ - حض على التعاون والإنفاق والتكافل الاجتماعي وبرعاية الدولة

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ
حَبَّةٍ أُنْبِتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ
لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

قال ابن كثير: هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف
الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة
تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف (٢٠١) .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ

(٢٠٠) «صحيح البخاري»: ٤٠٧٢ .

(٢٠١) «تفسير القرآن العظيم»: ٤٥٧/٢ ، للحافظ عماد الدين أبي

الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ٧٧٤ هـ .

النبي ﷺ إذ جاءَ رَجُلٌ على راحِلَةٍ له، قال: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ، فَلْيُعْذْ به على مَنْ لا ظَهَرَ له، وَمَنْ كَانَ له فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيُعْذْ به على مَنْ لا زَادَ له»، فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ، حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ (٢٠٢).

١٠٣- حال المسلمين في آخر الزمان

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يُحَاصِرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى يَكُونَ أَبْعَدَ مَسَاحِهِمْ سَلَاخٌ» (٢٠٣).

قال العظيم آبادي: «يُوشِكُ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يُحَاصِرُوا» على بناء المجهول، أي: يحبسوا، ويضطروا، ويلتجئوا «إِلَى الْمَدِينَةِ» أي: مدينة النبي ﷺ، لمحاصرة العدو إياهم، أو يفر المسلمون من الكفار، ويجتمعون بين المدينة. وسلاح

(٢٠٢) «صحيح مسلم»: ١٧٢٨.

(٢٠٣) «أخرجه أبو داود»: ٤٢٥٠، واللفظ له، و«ابن حبان»: ٦٧٧١،

والطبراني في «المعجم الأوسط»: ٦٤٣٢، باختلاف سير.

وهو موضع قريب من خيبر أو بعضهم دخلوا في حصن المدينة وبعضهم ثبتوا حوالها احتراساً عليها قاله القارئ. قال الشيخ عبد الحق الدهلوي: الظاهر أن هذا إخبار عن حال المسلمين زمن الدجال، حين يأرز الإسلام إلى المدينة المطهرة، أو يكون هذا في زمان آخر، «أبعدَ مسالِحهم»: بفتح الميم جمع مسلحة، وأصله موضع السلاح، ثم استعمل للثغر وهو المراد ها هنا، أي: أبعد ثغورهم هذا الموضع القريب من خيبر القريب من المدينة على عدة مراحل، وقد يستعمل لقوم يحفظون الثغور من العدو (٢٠٤).

١٠٤ - واصل الرحم

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما على الأرض مسلمٌ يدعو الله بدعوةٍ إلا آتاه الله تعالى إياها أو صرف عنه من السوءِ مثلها ما لم يدعُ بإثمٍ أو قطيعةٍ رحمٍ»،

(٢٠٤) «عون المعبود شرح سنن أبي داود»: ١١ / ٣٢٠-٣٢١،
للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي.

فقال رجل من القوم: إذا نُكثِرَ قال: «اللهُ أَكْثَرُ» (٢٠٥).

قيل لسعيد بن المسيب: مات إبراهيم بن محمد بن طلحة، قال: كيف مات؟ قيل: سقط قصره، فقال: هيهات لا يموت مثله هكذا، فلما أخرج من الهدم وجدوه حيًّا ما برجله كسر، فقيل لسعيد: كيف قلت ما قلت؟ فقال: لأنه واصل للرحم، وواصل الرحم يوقى سيئه السوء (٢٠٦).

وقال جعفر بن محمد: صلة الرحم تهون على المرء الحساب يوم القيامة، ثم تلا: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١] (٢٠٧).

(٢٠٥) «صحيح الترمذي»: ٣٥٧٣، حسن صحيح، «أخرجه الترمذي»: ٣٥٧٣، واللفظ له، وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند»: ٢٢٧٨٥، باختلاف يسير.

(٢٠٦) «سقط الملح وزوح الترح»: ص ٧٢، سعد الله بن نصر بن سعيد الحنبلي المعروف بابن الدجاجي المتوفى، ٥٦٤هـ.

(٢٠٧) «المجالسة وجواهر العلم»: ١٨٤/٥، تصنيف: أبي بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي، متوفى ٣٣٣هـ.

١٠٥- ﴿وَلَا تَزِرْ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾

قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

قال السعدي: يقول تعالى - مبيحاً للعدل ونادباً للفضل والإحسان - ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ من أساء إليكم بالقول والفعل ﴿فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ من غير زيادة منكم على ما أجراه معكم.

﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ﴾ عن المعاقبة وعفوتهم عن جرمهم ﴿لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ من الاستيفاء وما عند الله خير لكم وأحسن عاقبة كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (٢٠٨).

عن أبي رزمة رضي الله عنه، قال: انطلقت مع أبي نحو النبي صلى الله عليه وسلم ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال لأبي: «ابنك هذا؟» قال: إي

(٢٠٨) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»: ص ٤٥٢، للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، متوفى ١٣٧٦ هـ.

وربَّ الكعبة. قَالَ: «حَقًّا؟» قَالَ: أَشْهَدُ بِهِ، قَالَ: فَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَاحِكًا مِنْ ثَبِتِ شَبْهِي فِي أَبِي وَمِنْ حَلْفِ أَبِي عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ لَا يَجْنِي عَلَيْكَ وَلَا تَجْنِي عَلَيْهِ، وَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾» (٢٠٩)

قال العظيم آبادي: «لَا تَجْنِي عَلَيْهِ»: أَيُّ عَلَى ابْنِكَ، وَالْجِنَايَةُ الذَّنْبُ وَالْجُزْمُ مِمَّا يُوجِبُ الْعِقَابَ أَوْ الْقِصَاصَ، أَيُّ لَا يُطَالَبُ ابْنُكَ بِجِنَايَتِكَ، وَلَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]. وَهَذَا رَدٌّ لِمَا اعْتَادَتْهُ الْعَرَبُ مِنْ مُوَاخَذَةِ أَحَدِ الْمُتَوَالِدِينَ بِالْآخَرِ، - أَيُّ: مُعَاقِبَةُ الْإِبْنِ بِذَنْبِ أَبِيهِ أَوْ مُعَاقِبَةُ الْأَبِ بِذَنْبِ ابْنِهِ - (٢١٠).

١٠٦- «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ»

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا

(٢٠٩) «صحيح أبي داود»: ٤٤٩٥.

(٢١٠) «عون المعبود شرح سنن أبي داود»: ٣٠ / ١١، للعلامة أبي

الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي.

دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ» (٢١١).

يروى أَنَّ عدي بن أرطاة كتب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يستأذنه في تعذيب من اقتطعوا من مال الله، فكان ترجيحه العادل على التحقيق الصارم، فقال: من عدي بن أرطاة. أما بعد، أصلح الله أمير المؤمنين، فإن قبلي أناسًا من العمال قد اقتطعوا من مال الله ﷻ، مالا عظيما، لست أرجو استخراجهم من أيديهم، إلا أن أمسهم بشيء من العذاب، فإن رأى أمير المؤمنين أصلحه الله أن يأذن لي في ذلك، أفعل.

قال: فأجابه: (أما بعد، فالعجب كل العجب من استئذائك إياي في عذاب بشر، كأني لك جنة من عذاب الله، وكأني رضائي عنك ينجيكَ من سخط الله ﷻ). فانظر من قامت عليه بينة عدول، فخذ به بما قامت عليه به البينة، ومن أقر لك بشيء فخذ به بما أقر به، ومن أنكر

فاستحلفه بالله العظيم، وخلّ سبيله، وايم الله، لأن يلقوا الله ﷻ بخياناتهم، أحب إليّ من أن ألقى الله بدمائهم، والسلام (٢١٢).

وعن ميمون بن مهران، قال: قرأ عمر بن عبد العزيز: ﴿أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ فبكى، ثم قال: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، ما أرى المقابر إلاّ زيارة، ولا بد لمن زار أن يرجع، إلى الجنة أو إلى النار (٢١٣).

١٠٧- خيل البريد

قال المقرئ: لما ملك مصر الملك الظاهر بيبرس البندقداري، رتب البريد في سائر الطرقات، حتى صار الخبر يصل من قلعة الجبل إلى دمشق في أربعة أيام، ويعود في مثلها، فصارت أخبار الممالك ترد إليه في كل

(٢١٢) «سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد»: ص ١٢١، الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي، متوفى ٥٩٧هـ.
(٢١٣) «المصدر السابق»: ص ٢١٩.

جمعة مرتين، ويتحكم في سائر ممالكه بالعزل والولاية، وهو مقيم بالقلعة، وأنفق في ذلك مالا عظيما حتى تم ترتيبه، وكان ذلك في سنة تسع وخمسين وستمئة، وما زال أمر البريد مستمرا فيما بين القاهرة ودمشق، يوجد بكل مركز من مراكزه عدة من الخيول المعدة للركوب، وتعرف بخيل البريد، وعندها عدة سؤاس، وللخيل رجال يعرفون بالسواقين، وأحدهم سواق يركب مع رسم بركوبه، خيل البريد ليسوق له فرسه، ويخدمه مدة مسيره، ولا يركب أحد خيل البريد إلا بمرسوم سلطاني، فتارة يمنع الناس من ركوبه إلا من انتدبه السلطان لمهامه، وتارة يركبه من يريد السفر من الأعيان بمرسوم سلطاني، وكانت طرق الشام عامرة يوجد بها عند كل بريد ما يحتاج إليه المسافرين من زاد وعلف وغيره، ولكثرة ما كان فيه من الأمن أدركنا المرأة تسافر من القاهرة إلى الشام بمفردها راكبة، أو ماشية، لا تحمل زاداً ولا ماء.

فلما أخذ تيمورلنك دمشق، وسبى أهلها، وحرّقها في

سنة ثلاث وثمانمائة، خربت مراكز البريد، واشتغل أهل الدولة بما نزل بالبلاد من المحن، وما دُهِوا به من كثرة الفتن عن إقامة البريد، فاختلّ بانقطاعه طريق الشام خللاً فاحشاً، والأمر على ذلك إلى وقتنا هذا، وهو سنة ثمان عشرة وثمانمائة (٢١٤).

١٠٨ - خير الأمة هو القرن الأول

قال ابن تيمية رحمته الله: من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة ونحو ذلك وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية ومنهم التناسخية وهؤلاء لا خلاف في كفرهم.

وقال: من زعم أنهم - الصحابة - ارتدوا بعد رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضاً في كفره لأنه

(٢١٤) «كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»:

١/ ٤٢٠-٤٢١، للمؤرخ تقي الدين أبي العباس أحمد بن

علي بن عبد القادر العبيدي المقرئ، متوفى ٨٤٥هـ.

مكذب لما نصه القرآن في غير موضع، من الرضى عنهم والثناء عليهم. بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق وأن هذه الآية التي هي: ﴿كُتِبَ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وخيرها هو القرن الأول، كان عامتهم كفارًا، أو فساقًا، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام^(٢١٥).

١٠٩- فكيف والثياب لا تزال دنسة؟

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

(٢١٥) «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ»: ص ٥٨٦، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، متوفى ٧٢٨ هـ.

عن الأغر المزني أبي مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةً مَرَّةً» (٢١٦).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيَقَالُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ» (٢١٧).

قال ابن القيم: قلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله يوماً: سئل بعض أهل العلم أيهما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقياً فالبخور وماء الورد أنفع له، وإذا كان دنساً فالصابون والماء الحار أنفع له، فقال لي رحمه الله تعالى: فكيف والثياب لا تزال دنسة؟ (٢١٨).

(٢١٦) «صحيح مسلم»: ٢٧٠٢.

(٢١٧) «أخرجه ابن ماجه»: ٣٦٦٠، واللفظ له، و«أحمد»: ١٠٦١٠،

باختلاف يسير.

(٢١٨) «الوابل الصيب من الكلام الطيب»: ص ١٢٠، للإمام

أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية،

متوفى ٧٥١هـ.

١١٠- لم يفتح بهم من بلاد الكفر قرية

قال ابن حزم: اعلّموا رحمكم الله أن جميع فرق الضلالة لم يُجِرِ الله تعالى قط على أيديهم خيرًا، ولا فتح بهم من بلاد الكفر قرية، ولا رفع للإسلام راية، وما زالوا يَسعون في قلب نظام المسلمين، ويُفرِّقون كلمة المؤمنين، وَيَسْلُون السيف على أهل الدين، وَيَسعون في الأرض مفسدين.

أما الخوارج والشيعة: فأمرهم في هذا أشهر من أن يُتكلّف ذكره، وما توَصَّلت الباطنية إلى كيد الإسلام وإخراج الضعفاء منه إلى الكفر إلا على ألسنة الشيعة (٢١٩).

١١١- لا حسنات مع العجب ولا سيئات مع الاستغفار

قال التابعي سعيد بن جبّير: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ فَيَدْخُلُ بِهَا النَّارَ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ السَّيِّئَةَ فَيَدْخُلُ بِهَا

(٢١٩) «الفصل في الملل والأهواء والنحل»: ص ١٦٦-١٦٧، تأليف: الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي الظاهري، المتوفى ٤٥٦ هـ.

الْجَنَّةَ، وذلك أنه يعملُ الْحَسَنَةَ فتكون نصب عينه ويعجبُ بِهَا، ويعملُ السَّيِّئَةَ فتكون نصب عينه فيستغفر الله ويتوب إليه منها (٢٢٠).

١١٢- (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)

قال نظام الملك: المشاورة في الأمور رأي المرء وكمال عقله وبعد نظره، فلكل امرئ علم، والناس متفاوتون فيما يعرفون، فثمة كثير العلم والدراية، وآخر قليلهما، ومنهم ذو العلم الذي لم يزاوله ولم تعرّكه التجارب، وآخر عالم خبير مجرب.

فالذي قرأ علاج الآلام والأدواء وحفظ أسماء الأدوية جميعها من بطون الكتب حسب، لا يمكن بأية حال، أن يقف على قدم المساواة مع من عالج الأمراض والعلل مرات كثيرة وعرف الأدوية عن خبرة وتجربة، ولا يمكن

(٢٢٠) «مجموع الفتاوى»: ٤٥/١٠، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، متوفى ٧٢٨هـ.

كذلك مساواة من سافر كثيراً وطوف في الآفاق وذاق حرها وبردها، وعرك الأعمال بنفسه بمن لم يسافر ولم يجب البلدان ويقتحم ميدان العمل، أو يخض غمار الأمور قط، قيل في هذا المعنى: (يجب تدبر الأمور باستشارة الحكماء والمسنين وذوي التجارب والأسفار). ومن الناس أيضاً، من هو متوقد الذهن يتبين الأمور بسرعة، ومن بطيء الفهم. قالت الحكماء: (إن تدبير رجل واحد بقوة رجل واحد، وتدبير اثنين بقوة اثنين، وتدبير عشرة بقوة عشرة).

وعلى أية حال، فطاقة عشرة رجال أكثر من طاقة رجل واحد وأقوى، وخطة عشرة أشخاص أقوى من خطة شخصين أو ثلاثة أو خمسة، والناس قاطبة متفقون على أنه لم يكن في البشر أعلم وأحكم من نبينا محمد المصطفى ﷺ، فقد اجتمعت له العلوم كلها، وكان يعرف المستقبل معرفته الماضي، وقد اطلع على السموات والأرض، والجنة والنار، واللوح والقلم، والعرش

والكرسي، وما بين كل اثنين منها، وكان جبرائيل عليه السلام يهبط عليه دائماً ويوحى إليه بما كان وبما لم يكن، ومع ما كان له من فضائل ومعجزات، فقد خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ومع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن في حاجة إلى المشورة، فليعلم أن ليس ثمة مخلوق يمكن أن يكون في غنى عنها ^(٢٢١).

١١٣- التوكل على الله

التوكل على الله من أفضل العبادات ومن أفضل سبيل المخلصين، وقد فرضه الله تعالى على عباده، فقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١]، وقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]،

(٢٢١) «سير الملوك أو سياست نامه»: ص ١٢٨، نظام الملك الطوسي، متوفى ٤٨٥ هـ.

وقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠]، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩]، وقال: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

عن ابن عباس رضي الله عنه: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»، قالها إبراهيم عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وقالها مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] (٢٢٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَحْجُونَ وَلَا يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ، فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ

سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧] (٢٢٣).

ومن أسماء رسول الله ﷺ «المتوكل»، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمَتَوَكِّلَ، لَيْسَ بَفُظٍّ وَلَا غَلِيظٍ» (٢٢٤).

قال ابن رجب: وحقيقة التوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكِلَّةُ الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان، بأنه لا يعطي ولا يمنع، ولا يضر ولا ينفع سواه (٢٢٥).

وقال ابن القيم في مدارج السالكين: التوكل نصف الدين والنصف الثاني (الإنابة)، فإن الدين استعانة وعبادة،

(٢٢٣) «صحيح البخاري»: ١٥٢٣.

(٢٢٤) «صحيح البخاري»: ٢١٢٥.

(٢٢٥) «جامع العلوم والحكم»: ص ٤٠٩، تأليف: زين الدين

أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي، ٧٩٥هـ.

فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هي العبادة.

وقال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب، ومعنى ذلك: أنه عمل قلبي، ليس بقول اللسان، ولا عمل الجوارح، ولا هو من باب العلوم والإدراكات.

وسئل يحيى بن معاذ: متى يكون الرجل متوكلاً؟ فقال: إذا رضي بالله وكيلاً.

وقال ابن القيم: وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد.

قال سهل بن عبد الله: من طعن في الحركة فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان^(٢٢٦).

وقال ابن القيم: والتوكل على الله نصف الدين فينبغي على المسلم أن يتوكل على الله حق التوكل، مع أخذ بالأسباب الشرعية، وقال أيضاً: التوكل من أقوى

الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك، فإن الله حسبته، أي كافيته، ومن كان الله كافيته وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضره إلا أذى لا بد منه، كالحر والبرد والجوع والعطش، وإما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبداً (٢٢٧).

فالتوكل على الله هو ثقة بما عنده، وأما عدم السعي فليس من التوكل، وعلى الإنسان بذل سبب ولو كان سبباً، واعلم أن الله هو مسبب الأسباب، والتوكل على الله يحرص عليه الكبار والصغار والرجال والنساء عند نزول المصائب وحلول الكرب، وأن يئس عما في أيدي الناس من حلول، فأحسنوا الظن بربكم وتوكلوا عليه، فإن الله يحب المتوكلين.

(٢٢٧) «تفسير القيم»: ص ٥٨٧، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

١١٤- «النَّاسُ مَعَادِنٌ»

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «النَّاسُ مَعَادِنٌ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا، وَالْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مَجْنَدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّخَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» (٢٢٨).

قال الماوردي: سمي الصديق صديقاً لصدقه، والعدو عدواً لعدوه عليك، وقال ثعلب: إنما سمي الخليل خليلاً، لأن محبته تتخلل القلب، فلا تدع فيه خلاً إلا ملأته. قال بعض الحكماء: اعرف الرجل من فعله، لا من كلامه، واعرف محبته من عينه، لا من لسانه.

وقال بعض البلغاء: صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار.

وقال بعضهم: الرجال كالشجر: شرا به واحد، وثمره مختلف.

وقال بعض الحكماء: ليس بليب من لم يعاشر
بالمعروف من لم يجد من معاشرته بُدًا.

وقال المأمون: الإخوان ثلاث طبقات: طبقة كالغذاء:
لا يُستغنى عنه، وطبقة كالدواء: يُحتاج إليه أحيانًا، وطبقة
كالداء: لا يُحتاج إليه أبدًا (٢٢٩).

١١٥- يزيد العلم الشريف شرفاً

قال أبو العالية: كنت آتي ابن عباس وهو على سريرهِ
وحوله قريش، فيأخذ بيدي فيجلسني معه على السرير،
فتغامزُ بي قريش، ففطن لهم ابنُ عباس فقال: كذا هذا
العلم، يزيدُ الشريفَ شرفاً ويُجلِسُ المملوكَ على الأسرة.
وقال الحربي: كان محمد بن عبد الرحمن الأوقص، عنقه
داخلٌ في بدنه، وكان منكباه خارجين، كأنهما زجان،
فقالت له أمه: يا بني، لا تكون في مجلس قوم إلا كنت

(٢٢٩) «أدب الدنيا والدين»: ص ١٢١-١٢٣، تأليف: أبي الحسن
علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، ٤٥٠ هـ.

المضحوك منه المسخور به، فعليك بطلب العلم فإنه يرفعك، فولي قضاء مكة عشرين سنة، قال: وكان الخصم إذا جلس إليه بين يديه يرعد حتى يقوم (٢٣٠).

١١٦- (وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا)

قال محمد بن كعب القرظي: ياسالم عظنا! قال: آدم عليه السلام عمل خطيئة واحدة خرج بها من الجنة، وأنتم تعملون الخطايا ترجون أن تدخلون بها الجنة، ثم سكت. وقال: لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص لذكريا عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١].

ولو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص للذين يقاتلون في سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(٢٣٠) «مفتاح دار السعادة و منشور ولاية العلم والإرادة»:

١/ ٤٦٨، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن

قيم الجوزية، متوفى ٧٥١هـ.

إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٣١﴾ [الأنفال: ٤٥].

١١٧ - دعاء بظهر الغيب

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، قَالَ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ» (٢٣٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ودُعَاءُ الْغَائِبِ لِلْغَائِبِ أَعْظَمُ إِجَابَةٍ مِنْ دُعَاءِ الْحَاضِرِ، لِأَنَّهُ أَكْمَلُ إِخْلَاصًا وَأَبْعَدُ عَنِ الشَّرْكِ، فَكَيْفَ يُشَبِّهُ دُعَاءَ مَنْ يَدْعُو لِغَيْرِهِ بِلا سُوَالٍ مِنْهُ، إِلَى دُعَاءِ مَنْ يَدْعُو اللَّهَ بِسُوَالِهِ وَهُوَ حَاضِرٌ؟ وَفِي الْحَدِيثِ: «أَعْظَمُ الدُّعَاءِ إِجَابَةً، دُعَاءُ غَائِبٍ لِغَائِبٍ»، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ بِدَعْوَةٍ إِلَّا وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا كَلَّمَ دَعَا دَعْوَةً قَالَ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ مِثْلُهُ».

(٢٣١) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»: ٣/ ٢١٣-٢١٥، للحافظ

أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، متوفى ٤٣٠هـ.

(٢٣٢) «صحيح مسلم»: ٢٧٣٢.

وذلك أن المخلوق يطلب من المخلوق ما يقدر المخلوق عليه، والمخلوق قادر على دعاء الله ومسألته، فلهذا كان طلب الدعاء جائزاً، كما يطلب منه الإعانة بما يقدر عليه والأفعال التي يقدر عليها.

فأما ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فلا يجوز أن يطلب إلا من الله سبحانه، لا يطلب ذلك لا من الملائكة، ولا من الأنبياء، ولا من غيرهم، ولا يجوز أن يقال لغير الله: اغفر لي، واسقنا الغيث، وانصرنا على القوم الكافرين، أو اهد قلوبنا، ونحو ذلك.

وقال: فالدعاء للغير ينتفع به الداعي، والمدعو له وإن كان الداعي دون المدعو له، فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الداعي والمدعو له. فمن قال لغيره: ادع لي وقصد انتفاعهما جميعاً بذلك كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى، فهو نبه المسؤول وأشار عليه بما ينفعهما، والمسؤول فعل ما ينفعهما، بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى، فيثاب المأمور على فعله، والامر أيضاً يثاب مثل ثوابه؛ لكونه دعا إليه، لا سيما ومن الأدعية ما يؤمر

بها العبد، كما قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، فأمره بالاستغفار، ثم قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] (٢٣٣).

١١٨ - (يَبِيعُ دِينَهُ بَعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بَعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» (٢٣٤).

قال ابن الجوزي: كان الحسن يقول: عجبت لأقوام أمروا بالزاد، ونودي فيهم بالرحيل، وجلس أولهم على آخرهم وهم يلعبون. وكان يقول: يا بن آدم: (السَّكِينِ تشخذ، والتنور يسجر، والكبش يعتلف).

(٢٣٣) «مجموع الفتاوى»: ٢٤٦/١، لشيخ الإسلام تقي الدين

أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن تيمية

الحراني، متوفى ٧٢٨هـ.

(٢٣٤) «صحيح مسلم»: ١١٨.

وقال أبو حازم: إِنَّ بَضَاعَةَ الْآخِرَةِ كَاسِدَةٌ، فَاسْتَكْثَرُوا مِنْهَا فِي أَوَانٍ كَسَادَهَا، فَإِنَّهُ لَوْ جَاءَ وَقْتُ نَفَاقِهَا لَمْ تَصْلُوا فِيهَا إِلَى قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ.

وكان أبو بكر بن عياش يقول: لو سقط من أحدكم درهم لظَلَّ يومه، يقول: إِنَّا لِلَّهِ، ذهب درهمي وهو يذهب عمره، ولا يقول: ذهب عمري، وقد كان لله أقوام يبادرون الأوقات، ويحفظون السَّاعات، ويلازمونها بالطاعات (٢٣٥).

١١٩- (فِي كُلِّ ذَاتٍ كَبِدٌ رَطْبَةٌ أَجْرٌ)

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَبُ النَّارِ أَصْحَبُ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠].

قال الإمام القرطبي: الأولى: قوله تعالى: ﴿وَنَادَى﴾ قيل: إذا صار أهل الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار،

(٢٣٥) «المواعظ»: للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي القرشي البغدادي، متوفى ٥٩٧هـ.

فقالوا: يا ربنا إن لنا قرابات في الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم. وأهل الجنة لا يعرفونهم لسواد وجوههم.

فيقولون: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ فيبين أن ابن آدم لا يستغني عن الطعام والشراب وإن كان في العذاب. ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يعني طعام الجنة وشرابها. والإفاضة التوسعة، يقال: أفاض عليه نعمه.

الثانية: في هذه الآية دليل على أن سقي الماء من أفضل الأعمال. وقد سئل ابن عباس: أي الصدقة أفضل؟ فقال: الماء، ألم تروا إلى أهل النار حين استغاثوا بأهل الجنة ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾؟ وروى أبو داود أن سعداً أتى النبي ﷺ فقال: أي الصدقة أعجب إليك؟ قال: «الماء». وفي رواية فحفر بئراً، فقال: (هذه لأم سعد). وعن أنس قال: قال سعد: يا رسول الله، إِنَّ أُمَّ سَعْدٍ كَانَتْ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ، أَفَيَنْفَعُهَا أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهَا بَعْدَهَا؟ قال: «نعم، وعليك بالماء».

وفي رواية أن النبي ﷺ أمر سعد بن عبادة أن يسقي عنها الماء. فدل على أن سقي الماء من أعظم القربات عند الله تعالى. وقد قال بعض التابعين: من كثرت ذنوبه فعليه بسقي الماء. وقد غفر الله ذنوب الذي سقى الكلب، فكيف بمن سقى رجلاً مؤمناً موحداً وأحياه. روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بَرًّا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ بِي فَمَلَأْ خَفَهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ».

قالوا: يا رسول الله، وإنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ قال: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ».

وعكس هذا ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا

سَقَّتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَّتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ».

وفي حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم: «وَمَنْ سَقَى مُسْلِمًا شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ حَيْثُ يَوْجَدُ الْمَاءُ، فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَ رَقَبَةً، وَمَنْ سَقَى مُسْلِمًا شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ حَيْثُ لَا يَوْجَدُ، فَكَأَنَّمَا أَحْيَاهَا». أخرجه ابن ماجه في السنن ^(٢٣٦).

١٢٠- فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ

قال يحيى بن أكثم: كان المأمون - العباسي - قبل تقلده الخلافة يجلس للنظر، فدخل يهودي حسن الوجه، طيب الرائحة، حسن الثوب، فتكلم فأحسن الكلام، فلما تقوَّض المجلس دعاه المأمون فقال له: إسرائيلي؟ قال: نعم. قال: أسلم حتى أفعل لك وأصنع. فقال: ديني ودين آبائي فلا تكشفني. فتركه، فلما كان بعد سنة جاءنا

(٢٣٦) «الجامع لأحكام القرآن» تفسير القرطبي: ١٣٨/٤، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، المتوفى ٦٧١هـ.

وهو مسلم، فتكلم في الفقه، فأحسن الكلام، فلما تقوض المجلس دعاه المأمون فقال : أأست صاحبنا؟ قال: نعم. قال: أي شيء دعاك إلى الإسلام، وقد كنت عرضته عليك فأبيت؟ قال: إني أحسن الخط، فمضيت فكتبت ثلاث نسخ من التوراة، فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة، فبعثتها، فاشترت. قال: وكتبت ثلاث نسخ من الإنجيل، فزدت فيها ونقصت فأدخلتها إلى البيعة فاشترت مني. قال: وعمدت إلى القرآن فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها إلى الوراقين، فكلما تصفحوها فرأوا الزيادة والنقصان رموا بها، فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ، فكان سبب إسلامي (٢٣٧).

(٢٣٧) «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»: ١٠ / ٥١، للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي البغدادي المعروف بابن الجوزي، متوفى ٥٩٧ هـ.

١٢١- نأخذهم على غفلة وهم لا يعرفون

قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ^ط سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الفلم: ٤٤].

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِي﴾ أي دعني ﴿وَمَنْ يُكَذِّبُ﴾ «من» مفعول معه أو معطوف على ضمير المتكلم بِهَذَا الْحَدِيثِ يعني القرآن. قاله السدي. وقيل: يوم القيامة.

وهذا تسلية للنبي ﷺ، أي: فأنا أجازيهم وأنتقم منهم. ثم قال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ معناه: سنأخذهم على غفلة وهم لا يعرفون، فعذبوا يوم بدر. وقال سفيان الثوري: نُسِغَ عليهم النعم ونُسيهم الشكر. وقال الحسن: كم مستدرج بالإحسان إليه، وكم مفتون بالثناء عليه، وكم مغرور بالستر عليه. وقال أبو روق: أي: كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار.

وقال ابن عباس : سنمكر بهم . وقيل : هو أن نأخذهم قليلاً ولا نباغتهم ^(٢٣٨) .

١٢٢- (اللَّهُمَّ سَبْعَ كَسْبِيعَ يَوْسُفَ)

عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَمَّا رَأَى مِنَ النَّاسِ إِذْبَارًا، قَالَ: «اللَّهُمَّ سَبْعَ كَسْبِيعَ يَوْسُفَ»، فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ -اسْتَأْصَلَتْ- كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ وَالْجِيفَ، وَيَنْظُرُ أَحَدُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَرَى الدُّخَانَ مِنَ الْجُوعِ، فَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ تَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَبِصَلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ اللَّهَ لَهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ» [الدخان: ١٠] إِلَى قَوْلِهِ «إِنَّكُمْ عَائِدُونَ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ» [الدخان: ١٦] فَالْبَطْشَةُ: يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدْ مَضَتْ الدُّخَانُ وَالْبَطْشَةُ وَالزَّرَامُ-

(٢٣٨) «الجامع لأحكام القرآن» تفسير القرطبي: ١١ / ١٨٠، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، المتوفى ٦٧١ هـ.

قوله تعالى ﴿فسوف يكون لزاماً﴾ [الفرقان: ٧٧] - وآيَةُ
الرُّومِ (٢٣٩).

قال ابن بطال: كان الرسول ﷺ يحب دخول الناس في الإسلام، فكان لا يعجل بالدعاء عليهم ما دام يطمع في إجابتهم إلى الإسلام، بل كان يدعو لِمَن كان يرجو منه الإنابة، ومَن لا يرجوه ويخشى ضرره وشوكته يدعو عليه، كما دعا عليهم بسنين كسني يوسف، ودعا على صناديد قريش، لكثرة أذاهم وعداوتهم، فأجبت دعوته فيهم، فقتلوا ببدر، كما أسلم كثير ممن دعا له بالهدى (٢٤٠).

١٢٣- الفتن في آخر الزمان

عن معقل بن يسار رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ» (٢٤١).

(٢٣٩) متفق عليه، «أخرجه البخاري»: ١٠٠٧ و«مسلم»: ٢٧٩٨.
(٢٤٠) «شرح صحيح البخاري لابن بطال»: ٥ / ١١٤، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، متوفى ٤٤٩ هـ.
(٢٤١) «صحيح مسلم»: ٢٩٤٨.

إن العبادة وقتَ الفتنِ واختِلاطِ أمورِ النَّاسِ في فسادِ الدُّنيا، كهجرةٍ إلى النبي ﷺ، فالتمسك بالعبادة زمن كثرة الفتن واقتتال الناس، فضله كفضل من هاجر إلى النبي ﷺ قبل فتح مكة؛ فاليوم عندما تقع الفتنُ يفر الناس من دارِ الكُفرِ إلى دارِ الإيمانِ، فتوابعه كهجرةٍ من مكةَ إلى المدينةِ يومَ أن كانتِ الهجرةُ واجبةً، والسَّببُ في ذلك كثرةُ فضلِ العبادةِ في هذا الوقتِ وترجيحِ دارِ الإيمانِ على دارِ الكفرِ، فالناسُ يَغفلون عن العبادةِ في تلكَ الأوقاتِ ويشتغلون عنها ولا يتفرَّغُ لها إلا قليلون.

فالهجرةُ أيامِ الهرجِ تبْتنِي على تركِ الوطنِ والدارِ ورغائبها لله، وكما أنَّ المهاجرينَ في أوَّلِ الأمرِ كانوا قليلين؛ لعدمِ تَمَكُّنِ أكثرِهِم من الهجرة، فكان العابدون في الهرجِ قليلين.

قال ابن حجر: وذَكَرَ صاحبُ المُحَكَّم، للهرجِ معاني أخرى ومجموعها تسعة: شِدَّةُ القتلِ، وكثرةُ القتلِ، والاختِلاطِ، والفتنة في آخر الزمانِ، وكثرةُ النكاحِ، وكثرةُ

الكذب، وكثرة النوم، وما يرى في النوم غير منضبط، وعدم الإتيان للشيء، وقال الجوهري: أصل الهرج الكثرة في الشيء، يعني حتى لا يتميز (٢٤٢).

١٢٤- (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ)

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

قال ابن كثير: يقول الله تعالى: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله، أي: تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه.

وقال: نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الأمد

(٢٤٢) «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»: ٤٥٨/١٦، للشيخ الحافظ ابن حجر العسقلاني، متوفى ٨٥٢هـ.

بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم، واشتروا به ثمناً قليلاً، ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة، وقلدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعده ولا وعيد.

﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ أي: في الأعمال، فقلوبهم فاسدة، وأعمالهم باطلة. كما قال: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣]، أي: فسدت قلوبهم فقست وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه، وتركوا الأعمال التي أمروا بها، وارتكبوا ما نهوا عنه^{٢٤٣} ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية^(٢٤٣).

(٢٤٣) «تفسير القرآن العظيم»: ٢٠ / ٨، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ.

المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- ابن جرير: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) للإمام أبي جعفر محمد الطبري، متوفى ٣١٠هـ.
- ٣- القرطبي: تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي، متوفى ٦٧١هـ.
- ٤- أبو حيان الأندلسي: (البحر المحيط في التفسير) للإمام محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، ٧٥٤هـ.
- ٥- ابن كثير: (تفسير القرآن العظيم) للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، متوفى ٧٧٤هـ.
- ٦- ابن باديس: (تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) لعبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، متوفى ١٣٥٩هـ.
- ٧- السعدي: تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) للعلامة عبد الرحمن بن ناصر، متوفى ١٣٧٦هـ.

٨- الإمام مالك: (موطأ الإمام مالك): للإمام أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، متوفى ١٧٩هـ.

٩- الخراساني: (سُنن سعيد بن منصور) للإمام الحافظ سعيد بن شعبة المكي، متوفى ٢٢٧هـ.

١٠- ابن أبي شيبة: (المصنف) للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم، متوفى ٢٣٥هـ.

١١- ابن مخلد الحنظلي: (مُسند أبي هريرة رضي الله عنه) من مُسند إسحاق بن رَاهَوِيَه: للإمام إسحاق بن إبراهيم المروزي، متوفى ٢٣٨هـ.

١٢- ابن حنبل: (المسند) للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، متوفى ٢٤١هـ.

١٣- البخاري: (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) للإمام أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري، متوفى ٢٥٦هـ.

١٤- مسلم: (الجامع الصحيح) للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، متوفى ٢٦١هـ.

١٥- ابن ماجه: (سنن ابن ماجه) للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، متوفى ٢٧٥هـ.

١٦- الترمذي: (سنن الترمذي) للإمام أبي عيسى محمد ابن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك السلمي، ٢٧٩هـ.
١٧- البرهاري: (شرح السنة) للإمام أبي محمد الحسن ابن علي بن خلف، متوفى ٣٢٩هـ.

١٨- ابن حبان: (صحيح ابن حبان) للإمام أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، متوفى ٣٥٤هـ.

١٩- البيهقي: (دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة) للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، متوفى ٤٥٨هـ.

٢٠- السيوطي: سنن النسائي (كتاب السنن الكبرى): بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، متوفى ٩١١هـ.

٢١- العظيم آبادي: (عون المعبود شرح سنن أبي داود) للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق، متوفى ١٣٢٩هـ.

٢٢- محمد ناصر الدين: (صحيح الجامع) ١٤٢٠هـ.
الألباني.

٢٣- الدارمي: (الرد على الجهمية) للإمام عثمان بن سعيد، متوفى ٢٨٠هـ.

٢٤- ابن أبي الدنيا: (مكارم الأخلاق) للحافظ الإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد، متوفى ٢٨١هـ.

٢٥- وكيع القاضي: (أخبار القضاة) متوفى ٣٠٦هـ.

٢٦- ابن حبان: (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء) للحافظ أبي حاتم محمد التميمي البستي، متوفى ٣٥٤هـ.

٢٧- الآجري: (أخلاق العلماء): لأبي بكر بن الحسين ابن عبد الله، متوفى ٣٦٠هـ.

٢٨- السراج الطوسي: (اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي) تأليف: أبي نصر عبد الله بن علي، متوفى ٣٧٨هـ.

٢٩- اللالكائي: (أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم) للشيخ الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، متوفى ٤١٨هـ.

٣٠- الأصفهاني: (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله، متوفى ٤٣٠هـ.

٣١- الماوردي: (أدب الدنيا والدين) تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، متوفى ٤٥٠هـ.

٣٢- ابن حزم الأندلسي: (الفصل في الملأ والأهواء والنحل) للإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بالظاهر، متوفى ٤٥٦هـ.

٣٣- البيهقي: الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين الشافعي، متوفى ٤٥٨هـ.

(كتاب الزهد الكبير)، (مناقب الإمام الشافعي).

٣٤- الخطيب البغدادي: الحافظ المؤرخ أبو بكر أحمد ابن علي بن ثابت، متوفى ٤٦٣هـ.

(تاريخ بغداد أو مدينة السلام)، (كتاب الفقيه والمتفقه).

٣٥- القشيري: (الرسالة القشيرية) للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن، متوفى ٤٦٥هـ.

٣٦- نظام الملك: (سير الملوك أو سياست نامه) نظام الملك الطوسي، متوفى ٤٨٥هـ.

٣٧- الغزالي: (إحياء علوم الدين) للإمام أبي حامد محمد بن محمد، متوفى ٥٠٥هـ.

٣٨- ابن أبي يعلى: (طبقات الحنابلة) للإمام أبي الحسين محمد بن محمد بن الحسين الحنبلي، متوفى ٥٢٦هـ.

٣٩- ابن الدجاجي: (سقط الملح وزوح الترح) تأليف: سعد الله بن نصر بن سعيد الحنبلي، متوفى ٥٦٤هـ.

٤٠- ابن الجوزي: الإمام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد، متوفى ٥٩٧هـ.

(دَمُّ الهوى)، (التذكرة في الوعظ)، (أخبار النساء)، (مناقب أحمد بن حنبل)، (المواعظ)، (منهاج القاصدين ومفيد الصادقين)، (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم)، (تبليس إبليس)، (سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد).

٤١- النووي: الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف، متوفى ٦٧٦هـ.

(الأذكار من كلام سيد الأبرار)، (التيان في آداب حملة القرآن).

٤٢- ابن تيمية: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحراني، متوفى ٧٢٨هـ.

(مجموع الفتاوى)، (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية)، (الرد على الشاذلي في حزيه وما صنفه في آداب الطريق)، (الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ).

٤٣- تاريخ أبي الفداء: (المختصر في أخبار البشر) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن شاهنشاه بن أيوب، متوفى ٧٣٢هـ.

٤٤- الذهبي: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، متوفى ٧٤٨هـ.

(سير أعلام النبلاء)، (تذكرة الحفاظ)، (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام)، (زغل العلم).

٤٥- ابن قيم الجوزية: الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، متوفى ٧٥١هـ.

(الوابل الصيب من الكلم الطيب)، (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين)، (روضة المحبين ونزهة المشتاقين)،

(هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى)، (مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة)، (بدائع الفوائد)، (تفسير القيم)، (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين).

٤٦- ابن قليج: (إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال)
للعلامة علاء الدين مغلطاي بن عبد الله البكجري الحنفي،
متوفى ٧٦٢هـ.

٤٧- ابن مفلح المقدسي: (الآداب الشرعية) للإمام
الفقيه المحدث عبد الله محمد، متوفى ٧٦٣هـ.

٤٨- الشبلي: (آكام المرجان في أحكام الجان)، للإمام
بدر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله، متوفى ٧٦٩هـ.

٤٩- ابن كثير: (البداية والنهاية): للحافظ عماد الدين
أبي الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، ٧٧٤هـ.

٥٠- الشاطبي: (الاعتصام) للعلامة المحقق أبي إسحاق
إبراهيم بن موسى بن محمد اللّخمي الغرناطي، متوفى ٧٩٠هـ.

٥١- ابن رجب: الإمام الحافظ زين الدين أبو الفرج
عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد الحنبلي، متوفى ٧٩٥هـ.
(جامع العلوم والحكم)، (الذيل على طبقات الحنابلة).

٥٢- ابن خلدون: (مقدمة ابن خلدون) عبد الرحمن بن
محمد بن محمد أبو زيد ولي الدين ابن خلدون الحضرمي
الإشبيلي، متوفى ٨٠٨هـ.

٥٣- المقريري: (كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) للمؤرخ: تقي الدين أبي العباس أحمد العبيدي، متوفى ٨٤٥هـ.

٥٤- ابن حجر: الإمام شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، متوفى ٨٥٢هـ.
(الدُّرر الكامنة)، (توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس).

٥٥- ابن داود الحنبلي: (الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر الدمشقي الصالحي، متوفى ٨٥٦هـ.

٥٦- ابن تغري: (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) جمال الدين أبو يوسف بردي الأتابكي، متوفى ٨٧٤هـ.

٥٧- المناوي: (فيض القدير شرح الجامع الصغير) للعلامة المحدث محمد عبد الرؤوف، متوفى ٩٥٢هـ.

٥٨- القرماني: (أخبار الدول وآثار الأول تاريخ القرماني): المؤرخ أحمد بن يوسف، متوفى ١٠١٩هـ.

- ٥٩- د. معروف (إيران في ربيع الإسلام): بشار عواد.
- ٦٠- ناجي معروف: (عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية): ناجي معروف عبد الرزاق العبيدي الأعظمي.

فهرس

- مُتَكَلِّمًا..... ٥
- ١- لا يزول فقر العبد وبلاؤه إلا بالتوحيد..... ٧
- ٢- النية الخالصة..... ٩
- ٣- من لم يَصُنْ نفسه لم ينفعه علمه..... ١٠
- ٤- قمع الشيطان..... ١١
- ٦- العالم من اتبع العلم والسنن..... ١٤
- ٧- تلبس إبليس..... ١٥
- ٨- شكر الوالدين..... ١٧
- ٩- (إِذَا أُعْطِيَ لَمْ يَشْكُرْ، وَإِذَا ابْتُلِيَ لَمْ يَصْبِرْ)..... ١٨
- ١٠- «أَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا»..... ٢٠
- ١١- «فَلْيَعْمِدْ إِلَى امْرَأَتِهِ فَلْيُوَاقِعْهَا»..... ٢١
- ١٢- «فَاتِي أَبَا بَكْرٍ عليه السلام»..... ٢٢
- ١٣- الاعتذار يُذهب الهموم..... ٢٣

- ١٤ - حصّن بالكتمان ٢٤
- ١٦ - حب الصحابة عليهم السلام ٢٧
- ١٧ - تحتاج المرأة الحفظ والصيانة ٢٨
- ١٨ - «**بِوُثْنٍ خَيْرٌ لهنَّ**» ٣٠
- ١٩ - عروبة العلماء ٣١
- ٢٠ - الملك المظفر سيف الدين قطز محمود بن ممدود. ٣٢
- ٢١ - إيران في ربيع الإسلام ٣٨
- ٢٣ - أهمية المدارس في إيران ٤٢
- ٢٤ - يُصَلِّحُ اللهُ بهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٤٤
- ٢٥ - النَّاسُ فِي قَتْلِ الْحُسَيْنِ عليه السلام طرفان ووسط ٤٦
- ٢٦ - أحدث الناس بدعتين يوم عاشوراء: بدعة الحزن
وَالنَّوْحِ وَبِدْعَةِ السُّرُورِ وَالْفَرَحِ ٤٨
- ٢٧ - بدعة وفتنة ٤٩
- ٢٨ - أجر ألقوم على الفتيا أدناهم علماً ٥٠
- ٢٩ - أخُ يرعاك غنياً ويقطعك فقيراً ٥٢

- ٣٠- صاحب إزبل (أربيل) ٥٣
- ٣١- مواطأة أعداء الشريعة ٥٦
- ٣٢- حاضِر المنكر كفاعله ٥٧
- ٣٣- الأدب في الناس ٥٩
- ٣٤- ترغيب في النكاح ٦٠
- ٣٥- من هو النذل ٦٣
- ٣٦- إِنَّمَا يُقَدِّسُ الْإِنْسَانَ عَمَلُهُ ٦٤
- ٣٧- فوق في نفسي أَنَّ هذا عُقُوبَةٌ ٦٥
- ٣٨- لا تفش على أحد ٦٧
- ٣٩- بل علي ﷺ زينها ٦٨
- ٤٠- مَنْ شَغَلَهُ الْفَرَضُ عَنِ النَّفْلِ وَشَغَلَهُ النَّفْلُ عَنِ الْفَرَضِ ٦٩
- ٤١- إِذَا رَأَيْتُمُونِي وَعَلَى رَأْسِي مُصْحَفٌ فَأَقْتُلُونِي ٧٠
- ٤٢- «رَأْسٌ مِئَةِ سَنَةٍ» ٧٣
- ٤٣- فمتى يتبين الحقُّ ٧٥
- ٤٤- الأسباب المانعة من قبول الحق ٧٦

- ٤٥- (الأنبياء كلهم إخوة) ٧٩
- ٤٦- لَوْلَا الْعِلْمُ ٨٢
- ٤٧- إِنْ أَهْلَ الْعِلْمِ مِنْهُمْ عَلَى يَقِينٍ ٨٣
- ٤٨- الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ عَدُولٌ ﷺ ٨٥
- ٤٩- مَاتُوا وَانْقَطَعَ أَثَرُهُمْ وَبَقِيَ عِلْمُ الْعَالَمِ ٨٧
- ٥٠- فَغَلَبَ عَلَيْهِ هَذَا الْأَسْمُ ٨٨
- ٥١- فَضْلُ طَلَبِ الْعِلْمِ ٨٩
- ٥٢- الْعِلْمُ عِلْمَانِ ٩٠
- ٥٣- يَأْتِي زَمَانٌ يَقُودُ الْهَوَى الْحَقَّ ٩١
- ٥٤- دَوَاؤُكَ تَرِكَ هَوَاكَ ٩٢
- ٥٥- أَكْثَرُ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ٩٣
- ٥٦- مَنْ جَعَلَ الْمُصِيبَةَ صَبْرًا ٩٤
- ٥٧- «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟» ٩٥
- ٥٨- «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ» ٩٨
- ٥٩- «فَأَنْتَ ثَالِثُهُمَا فِي الْجَنَّةِ» ٩٩

- ٦٠- «لَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَتَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ» ١٠٠
- ٦١- الخوف يكف الجوارح عن المعاصي ١٠٢
- ٦٢- فأَي الفريقين أحق بالصراط المستقيم ١٠٣
- ٦٣- تُدْرِكُ النِّعْمَةُ نُورَ الْعَقْلِ ١٠٥
- ٦٤- فضائل الخلفاء عليهم السلام ١٠٧
- ٦٥- البكاء عند قراءة القرآن صفة العارفين ١١٠
- ٦٦- فوائد الذكر ١١١
- ٦٧- فضل آل البيت عليهم السلام ١١٤
- ٦٨- «أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ» ١١٥
- ٦٩- من فوائد غَضِّ البصر ١١٦
- ٧٠- اصبر في طاعة الرحمن لأجل الدين ١٢١
- ٧١- إذا فسد القلب فسد البدن ١٢٢
- ٧٢- عظم معصية الكبير ١٢٤
- ٧٣- نطق ما يبغض الله ورسوله ١٢٦
- ٧٤- ابتلاء بالكبر ١٢٩

- ٧٥- لا تصحب خمسة ١٣١
- ٧٦- ترك لما لا يعينك ١٣٢
- ٧٧- تدهورٌ وبعدٌ عن الدين ١٣٣
- ٧٨- رحم الله امرأً أقبل على شأنه ١٣٦
- ٧٩- قراء بالروايات ١٣٧
- ٨٠- أنا أم المؤمنين ١٣٩
- ٨١- ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ١٤١
- ٨٢- سيرة الصحابي الجليل أبي هريرة الدوسي اليماني رضي الله عنه ١٤٢
- ٨٣- ﴿لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ﴾ ١٤٦
- ٨٤- ﴿هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِينَ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟﴾ ١٤٧
- ٨٥- ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ﴾ ١٥١
- ٨٦- (فِطْنَةُ عُمَرَ رضي الله عنه) ١٥٣
- ٨٧- ﴿وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ ١٥٤
- ٨٨- أَحَبُّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ ١٥٦
- ٨٩- هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعَكَ عَلَى الْإِسْلَامِ ١٦٠

- ٩٠- «أَتَرَدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيثَهُ؟» ١٦٣
- ٩١- اقضِ عَلَيَّ دَيْنًا وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا ١٦٦
- ٩٢- الوصية مشروعة بكتاب الله وسنة رسوله ١٧٠
- ٩٣- «اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ» ١٧٤
- ٩٤- «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ» ١٧٩
- ٩٥- أهل الشقاق والنفاق والعناد ١٨٧
- ٩٦- (أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ) ١٨٨
- ٩٧- «أَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ» ١٨٩
- ٩٨- (فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ) ١٩١
- ٩٩- مراد تأديب لا إتلاف ١٩٣
- ١٠٠- لا تُصدّق ولا تُكذّب ١٩٥
- ١٠١- وحشي بن حرب رضي الله عنه ١٩٧
- ١٠٢- حض على التعاون والإنفاق والتكافل
- الاجتماعي وبرعاية الدولة ٢٠٠
- ١٠٣- حال المسلمين في آخر الزمان ٢٠١

- ١٠٤- واصل الرحم ٢٠٢
- ١٠٥- ﴿وَلَا تَزِرْ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ٢٠٤
- ١٠٦- «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ» ٢٠٥
- ١٠٧- خيل البريد ٢٠٧
- ١٠٨- خير الأمة هو القرن الأول ٢٠٩
- ١٠٩- فكيف والثياب لا تزال دنسة؟ ٢١٠
- ١١٠- لم يفتح بهم من بلاد الكفر قرية ٢١٢
- ١١١- لا حسنات مع العجب ولا سيئات مع الاستغفار.. ٢١٢
- ١١٢- ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ ٢١٣
- ١١٣- التوكل على الله ٢١٥
- ١١٤- «النَّاسُ مَعَادِنُ» ٢٢٠
- ١١٥- يزيد العلم الشريف شرفاً ٢٢١
- ١١٦- ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ٢٢٢
- ١١٧- دعاء بظهر الغيب ٢٢٣
- ١١٨- (يَبِيعُ دِينَهُ بَعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا) ٢٢٥

- ١١٩ - (فِي كُلِّ ذَاتِ كَيْدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ) ٢٢٦
- ١٢٠ - فعلمت أن هذا الكتاب محفوظ ٢٢٩
- ١٢١ - نأخذهم على غفلة وهم لا يعرفون ٢٣١
- ١٢٢ - (اللَّهُمَّ سَبْعَ كَسْبَعٍ يُوسُفَ) ٢٣٢
- ١٢٣ - الفتن في آخر الزمان ٢٣٣
- ١٢٤ - ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ ٢٣٥
- المراجع ٢٣٧
- فهرس ٢٤٧

